بسم الله الرحمن الرحيم

المحتصر المفيد في عقيدة التوحيد

تم تنـزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد

w.dehwat.www//:ptth
dqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth

الحمد الله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، ذي العرش المجيد والبطش الشديد، الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلم ات التشكيك والترديد، السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله، بمحاسن أوصافه، التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، المعرف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمد لا ضد له، منفرد لا ند له، وأنه واحد قديم لا أول له، أزلي لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال، بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل {هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم}.

ثم الصلاة والسلام على خير الأنام، ومصباح الظلام، وعلى اله وصحبه الطيبين الكرام، لهم منا كل الحب والاحترام.

أما بعد:

ما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه، وما أمرهم إلا أن يوحدوه، وما طلب منهم أن يطعموه أو يرزقوه، فقال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون}، ولكن الناس استكبروا وأعرضوا إلا من رحم الله، فهدى الله منهم من هدى وأعمى قلوب الكثير، ثم أخرج لنا جيلا حملوا أعباء الدين، وجاهدوا مع سيد المرسلين، بذلوا الرخيص والثمين، في سبيل العزيز الحكيم، رضي الله عنهم أجمعين، ودارت الأيام دورتها ومرت السنين، حتى جاء عصرنا الذي نحن فيه، وأعرض الناس من جديد، فحق عليهم الوعيد، ولكن الله رحيم بالعبيد، فاتقوا الله في توحيده، واعبدوه حق عبادته، نعم لقد بعد الناس عن دين الله كل البعد، فما أصبحوا يميزون بين الحلال والحرام، بل وما أصبحوا يميزون بين التوحيد والشرك، وما عرفوا عقيدتهم التي وضعها الله لهم، فصار حقا على أهل الصلاح والفلاح، والعلماء والدعاة، أن يبينوا للناس الحق ويرشدوهم.

فلذلك وبفضل الله عز وجل تمكنت من جمع هذا الكتاب المختصر في العقيدة، مع أنه من المفترض أنه لا

مختصر في عقيدة الإسلام، ولكن مـالا يـدرك كلـه لا يـترك جله، ووضعت في هذا الكتـاب كـل مـا هـو مفيـد ومختصـر وسميته "**المختصر المفيد في عقيدة التوحيـد**"، مـع العلـم بـأني جمعتـه مـن عـدة كتـب لعـدد مـن العلمـاء المعروفين، أي أنني لم آت بشيء من عندي، وسـتجد هـذا واضحا أمامـك عنـدما تقـرأ الكتـاب إن شـاء اللـه، ثـم إنـي قسمته إلى أربعة أبواب:

- أساسيات في العقيدة.
- أركان الإسلام.
- الإيمان.
- نواقض الإيمان.

أسأل الله أن ينفع به كل من قرأه، وأن يجعلـه خالصـا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتنا.

والآن أتركك مع الكتاب...

الباب الأول
أساسيات في العقيدة

أولا: بعض التعريفات المهمة:

1) تعريف الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

2) تعريف الإيمان: هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان وعمل بالجوارح والأركان.

3) تعريف الإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك.

4) تعريف الربوبية: هي الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل هو الخالق وهو المالك وهو المتصف بالخلق وهو رب كل شيء ومليكه.

5) تعريف الألوهية: هي الاعتقاد الجازم بان الله عز وجل هو الإله الحق وإفراده سبحانه بالعبادة.

6) معنى لا اله إلا الله: أي لا معبود بحق سواه.

7) معنى أن محمدا رسول الله: تصديقه فيما أخبر، وطاعته بما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع وأمر.

8) الشرك: هو أن تجعل لله ندا وهو خلقك.

9) الكفر: هو إنكار بعض ما جاء به الرسول.

10) الردة: هي الرجوع عن الدين بعد الدخول فيه.

11) النفاق: هو إظهار الإسلام وكتم الكفر.

ثانيا: تلميحات أساسية:

اعلم رحمك الله أن الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، ومعنى يعبدوني أي يوحدوني.

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟

فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه.

وإذا قيل لك: من ربك؟

فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه {الحمد لله رب العالمين}.

وإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟

فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن ءاياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع والارضون السبع ومن فيهن وما بينهما.

واعلم رحمك الله أن الله أمرنا بإفراده وحده بالعبادة، وأنواع العبادة التي أمر بها الله هي:

الإسلام والإيمان والإحسان، ومنه: الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر... وغيرها.

فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: {ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون}.

وأما معرفة دين الإسلام فهو ثلاث مراتب: الإسلام، الإيمان، الإحسان.

وكل مرتبة لها أركان، فأركان الإسلام خمس: الشهادة، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج.

وأركان الإيمان ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وأركان الإحسان ركن واحد: أن تعبد الله كأنك تراه.

وأما معرفة النبي فهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش،وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، وله من العمر ثلاث

وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيا ورسولا، ولد بمكة وهاجر إلى المدينة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، أخذ على هذا عشر سنين، ثم عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلاة، وصلى في مكة ثلاث سنين ثم أمر بالهجرة إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام من زكاة وصوم وحج وجهاد... وغيرها، أخذ على هذا عشر سنين ثم توفي صلوات الله عليه وسلامه.

ثالثا: بعض التوضيحات:

1) الشرك: ذكرنا سابقا تعريف الشرك، ولكن للتوضيح أكثر، فان الشرك كما أن يشتركان شخصين في شيء واحد.

أنواع الشرك: شرك أكبر، شرك أصغر.

الشرك الأكبر: يخرج صاحبه من الملة، ويخلد صاحبه في النار، ويبيح الدم والمال، ويحبط جميع الأعمال.

الشرك الأصغر: لا يخرج صاحبه من الملة، ولا يخلد في النار،ولا يبيح الدم والمال، ويحبط جزء من العمل فقط.

2) الكفر: ذكرنا سابقا تعريف الكفر، ولكن للتوضيح أكثر، فانه يشمل سب الله عز وجل أو سب دينه، أو سب أحد رسله، أوسب الملائكة، أوسب الصحابة رضي الله عنهم، أو الاستهانة بكتابه، أو الاستهانة بدين الإسلام، أو موالاة أعداء الله، أو الحكم بغير ما أنزل الله، أو أدعاء علم الغيب... وغيرها.

أنواع الكفر: كفر أكبر، كفر أصغر.

الكفر الأكبر: يخرج صاحبه من الملة، ويخلد صاحبه في النار، ويبيح الدم والمال، ويحبط جميع الأعمال.

الكفر الأصغر: لا يخرج صاحبه من الملة، ولا يخلد في النار،ولا يبيح الدم والمال، ويحبط جزء من العمل فقط.

3) النفاق: نفاق أصغر لا يخرج صاحبه من الملة كالرياء، ونفاق أكبر يخرج صاحبه من الملة كإظهار الإسلام

وإبطان الكفر، وصاحب هذا النفاق في الدرك الأسـفل مـن النار.

4) الردة: ليس فيها لا أصغر ولا أكبر، الردة كفر، يحـل الدم والمال، وأحينا تقع الردة بشتم دين الله، أو فعل شـيئا مما ذكرناه أنفا.

الباب الثاني
أركان الإسلام

هذا الباب يحتوي على أركان الإسلام الخمسة، الـتي لا يصح إسلام امرئ إلا بها، وقد أجمـع علمـاء الأمـة علـى أنـه من أنكر منها ركنا، أو لم يأتي بركن منهـا فـإنه كـافر مرتـد عن الإسلام، وهذه الأركان واردة في الكتاب والسـنة، قـال صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس، شهادة ألا إلـه إلا اللـه وأن محمـد رسـول اللـه، وإقـام الصـلاة وإيتـاء

الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان) [1]، وغيرها من الأدلة ولكننا لن نطيل في هذا الباب كثيرا، لأنني لا أعتقد أن هناك شخص مسلم لا يعرف أركان الإسلام، ولكننا سنكتفي بإسراد بعض الأدلة على هذه الأركان، مع بعض التوضيحات.

أولا: الشهادتان:

دليلها من القرءان قوله تعالى: {شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم} [آل عمران 18]، وقوله تعالى: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} [التوبة 128].

ومعناها لا معبود بحق إلا الله، "لا إله" نافيا جميع ما يعبد من دون الله، "إلا الله" مثبتا العبادة لله وحده ،لاشريك له في عبادته،كما إنه لاشريك له في ملكه و "محمد رسول الله" طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع [2].

واعلم أن شهادة لا إله إلا الله لها شروط ولها نواقض، أما نواقضها فسنبينها في الباب الرابع إن شاء الله تعالى، وأما شروطها فهي سبعة، وهي:

1) العلم: ودليله قوله تعالى: {فاعلم أنه لاإله إلا الله...} [محمد 19]، وقال صلى الله عليه وسلم: (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) [3]، والمراد العلم الحقيقي بمدلول الشهادتين، وما تستلزمه كل منهما من العمل، وضد العلم الجهل وهو الذي أوقع المشركين من هذه الأمة في مخالفة معناها، حيث جهلوا معنى الإله ومدلول النفي والإثبات، وفاتهم أن القصد من هذه الكلمة معناها، وهو الذي خالفه المشركون العالمون بما تدل عليه.

2) اليقين: وضده الشك أو التوقف أو مجرد الظن أو الريب، والمعنى أنه من أتى بالشهادتين فلابد أن يوقن بقلبه ويعتقد صحة ما يقول، من حقية ألهية الله تعالى، وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله

---

[1] متفق عليه
[2] الأصول الثلاثة.
[3] رواه مسلم

عليه وسلم: (من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لاإله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة) [4].

3) القبول المنافي للرد: فإن هناك من يعلم معنى الشهادتين ويوقن بمدلولهما ولكنه يردهما كبرا وحسدا، وذلك حال علماء اليهود والنصارى، فقد شهدوا بألهية الله، وعرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبنائهم، ومع ذلك لم يقبلوه {حسدا من أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق}.

4) الإنقياد: هو الإستسلام والإذعان، وعدم التعقب لشيء من أحكام الله، قال تعالى: {وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له} [الزمر 54].

5) الصدق: وضده الكذب، وقد ورد اشتراط ذلك في الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إله إلا الله صادقا من قلبه دخل الجنة)، وأما من قالها بلسانه وأنكر مدلولها بقلبه فإنه من المنافقين.

6) الإخلاص: هو أن تكون العبادة لله وحده، دون أن يصرف منها شيء لغيره، لا ملك مقرب ولانبي مرسل، وكذا الإخلاص في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بالإقتصار على سنته، وتحكيمه، وترك البدع والمخالفات، قال تعالى: {فاعبد الله مخلصا له الدين ألا له الدين الخالص} [الزمر 23].

7) المحبة: فيجب على العبد محبة الله ومحبة أوليائه وأهل طاعته، وقد شرط الله لعلامة محبته اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم}.

ثانيا: إقام الصلاة:

هذا هو الركن الثاني من أركان الإسلام، ومن أنكره فقد كفر، وذلك لثبوت أدلتها في القرءأن وفي السنة.

حكمها: الصلاة فريضة الله على كل مؤمن، إذ أمر الله تعالى بها في غير ما آية من كتابه، قال تعالى: {فأقيموا

---

[4] رواه مسلم.

الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا} [النساء 103]، وقال صلى الله عليه وسلم: (خمس صلوات كتبهن الله على العباد) [5].

وقد شدد الوعيد على تارك الصلاة، فمن العلماء كثير من قال: إن تارك الصلاة كافر - وسيأتي تفصيل ذلك في الباب الرابع إن شاء الله - وذلك لقوله تعالى: {قال ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين} [المدثر 42، 43]، ولقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (العهد الذي بيني وبينهم هو الصلاة فمن تركها فقد كفر)، ولقوله أيضا: (بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة) [6].

ويجب علينا أن نؤمن بها كما جائت وكما بينها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: (صلوا كما رأيتموني أصلي) [7]، ولئن تعلم أحكام الصلاة واجب على كل مؤمن إذ قال صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) [8]، فلذلك نعرض لك بعض التفصيلات فيها:

أولا: تقسيم الصلاة:

تنقسم الصلاة إلى فرض مثل الصلوات الخمس، وإلى سنة مثل الوتر ورغيبة الفجر والعيدان والكسوف والخسوف والاستسقاء، ونفل مثل قيام الليل وغيره.

ثانيا: شروط الصلاة:

أ) شروط وجوبها وهي: 1) الإسلام، 2) العقل، 3) البلوغ، 4) دخول وقتها، 5) النقاء من دم الحيض والنفاس.

ب) شروط صحتها وهي: 1) الطهارة من الحدثان، 2) ستر العورة، 3) استقبال القبلة [9].

ثالثا: فرائض الصلاة وسننها ومبطلاتها:

---

[5] رواه الإمام أحمد والنسائي وغيره
[6] رواه مسلم.
[7] رواه البخاري
[8] ابن ماجة والبيهقي.
[9] انظر كتاب منهاج المسلم.

أ) فرائضها: 1) القيام مع القدرة، 2) تكبيرة الإحرام، 3) قراءة الفاتحة، 4) الركوع، 5) الرفع منه، 6) السجود على الأعضاء السبعة، 7) الاعتدال منه، 8) الجلسة بين السجدتين، 9) الطمأنينة في جميع الأركان، 10) الترتيب، 11) التشهد الأخير، 12) الجلوس له، 13) الصلاة على النبي، 14) التسليمتان [10].

ب) سننها:

المؤكدة: 1) قراءة سورة بعد الفاتحة، 2) قول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مبارك فيه، 3) قول سبحان ربي العظيم في الركوع ثلاثا وسبحان ربي الأعلى في السجود ثلاثا، 4) جميع التكبيرات عدا تكبيرة الإحرام، 5) التشهد الأول والثاني والجلوس لهما، 6) الجهر في الصلاة الجهرية والسر في السرية، 7) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الآخر.

وأما غير المؤكدة: 1) دعاء الإستفتاح، 2) الاستعاذة في الركعة الأولى والبسملة في كل ركعة، 3) رفع اليدين حذو المنكبين عند التكبير، 4) التأمين بعد الفاتحة، 5) تطويل القراءة في الصبح والتقصير في العصر والمغرب والتوسط في العشاء والظهر، 6) الدعاء بين السجدتين، 7) دعاء القنوت، 8) الإفتراش والتورك في الجلوس ،9) وضع اليدين على الصدر، 10) الدعاء في السجود، 11) الدعاء قبل السلام، 12) التيامن بالسلام، 13) التسليمة الثانية عن يساره ، 14) الأذكار بعد السلام.

ج) مبطلاتها: 1) ترك ركن من أركانها، 2) الأكل أو الشرب، 3) الكلام لغير إصلاحها، 4) الضحك، 5) العمل الكثير، 6) زيادة الصلاة بمثلها، 7) ذكر صلاة قبلها قد فاتته [11].

ثالثا: إيتاء الزكاة:

وهذا هو الركن الثالث من أركان الإسلام، ومن أنكره أيضا فقد كفر، لثبوت أدلته، ومن منع الزكاة جاحدا لفرضيتها فقد كفر، ومن منعها بخلا مع إقراره بوجبها آثم،

[10] شروط الصلاة وأركانها وواجباتها للشيخ محمد عبد الوهاب.
[11] انظر كتاب منهاج المسلم

وأخذت منه كرها، وإن قاتل دونها قوتل، {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين} [التوبة 11]، وكذلك فعل أبو بكر رضي الله عنه في مانعي الزكاة [12].

حكمها:

الزكاة فريضة وعلى كل مسلم، ملك نصابا من المال بشروطه، فرضها الله في كتابه بقوله: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} [التوبة 103]، وقوله: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} [المزمل 20]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس، شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان) [13].

أجناس الأموال المزكاة وغيرها:

أ) النقدان: وهما الذهب والفضة، وما يقوم بهما من عروض التجارة، وما يلحق بهما من المعادن والركاز، وما يقوم مقامهما من الأوراق المالية، قال تعالى: {والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم} [التوبة 34].

ب) الأنعام: وهي الإبل البقر والغنم، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما رزقناكم} [البقرة 267]، وغيرها من الأدلة كثير.

ج) الثمر والحبوب: الحبوب هي كل مدخر مقتات، من قمح وشعير وفول وحمص وجلبانة ولوبياء وعدس وذرة وسلت وأرز ونحوه.

وأما الثمر: فهو التمر والزيتون والزبيب، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض} [البقرة 267]، وقال تعالى: {وآتوا حقه يوم حصاده} [الأنعام 141] [14].

زكاة الفطر:

---

[12] نفس المرجع.
[13] متفق عليه.
[14] منهاج المسلم.

زكاة الفطر سنة واجبة على أعيان المسلمين، لقول ابن عمر رضي الله عنه: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر في رمضان صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين) [15].

رابعا: صوم رمضان:

تعريف الصيام: لغة: هو الإمساك، وشرعا: الإمساك بنية التعبد عن الأكل والشرب وغشيان النساء، وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

حكم الصيام:

هو فرض فرضه الله عز وجل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، كما فرضه على الأمم السابقة، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} [البقرة 183]، وصيامه واجب على كل مسلم ومسلمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: {فمن شهد منكم الشهر فليصمه} [البقرة 185].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس، شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان) [16]، ومن أنكر شهر رمضان فقد كفر، قال صلى الله عليه وسلم: (عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم، شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان) [17].

ثبوت الشهر: يثبت دخول رمضان بأحد الأمرين، أولهما كمال الشهر السابق، وهو شهر شعبان، والثاني رؤية الهلال.

خامسا: حج البيت:

حكم الحج: الحج فريضة الله على كل مسلم ومسلمة استطاع إليه سبيلا، لقوله تعالى: {ولله على الناس حج

---

[15] رواه النسائي.
[16] سبق تخريجه.
[17] أورده الهيثمي في مجمع الزوائد.

البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن اللـه غنـي عـن العالمين} [آل عمران 97]، يقول الشيخ العثيمين تعليقا على هذه الآية: (وفي قوله {ومن كفر فإن اللـه غنـي عـن العالمين} دليل على أن ترك الحج ممن استطاع إليه سبيلا يكون كفرا، ولكنه لا يخرج من الملة على قول جمهور العلماء، لقول عبد الله ابن شقيق: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة) [18].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو منع من سلطان جائر ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا) [19].

وهو فرض مرة واحدة في العمر، لقوله صلى الله عليه وسلم: (الحج مرة فمن زاد فهو تطوع) [20]، ومن أنكر وجوب حج البيت فقد كفر.

أركان الحج: 1) الإحرام، 2) الطواف، 3) السعي، 4) الوقوف بعرفة.

أركان العمرة: 1) الإحرام، 2) الطواف، 3) السعي.

شروط وجوب الحج: 1) الإسلام، 2) العقل، 3) البلوغ، 4) الاستطاعة.

الباب الثالث
الإيمان

هذا الباب ينقسم إلى ستة أقسام، وهذه الأقسام الستة هي أركان الإيمان، وسنطرح هذه النقاط الستة واحدة تلوى الأخرى مع بيان وتفصيل كل ركن إن شاء الله.

---

[18] شرح الثلاثة أصول.
[19] رواه الإمام أحمد ، وإن كان ضعيفا فإن له متابعات حسن بها كما قال الشوكاني
[20] رواه الدار قطني.

أولا: الإيمان بالله عز وجل:

وفيه ثلاثة أنواع:

النوع الأول: توحيد الربوبية:

ومعناه الإجمالي الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء، ولا رب غيره. وبيانه: أن الرب في اللغة هو المالك المدبر،وربوبية الله على خلقه تعني تفرده سبحانه في خلقهم وملكهم وتدبير شؤونهم. فتوحيد الله في الربوبيةهو الإقرار بأنه سبحانه هو خالق الخلق،ومالكهم، ومحييهم ومميتهم، ونافعهم وضارهم، ومجيب دعائهم عند الإضطرار، والقادرعليه،ومعطيهم ومانعهم، وله الخلق وله الأمر كله كما قال تعالى: {ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} [الأعراف 54].

وبعبارة أخرى فان هذا التوحيد معناه: الإقرار بأن الله عز وجل هو الفاعل في الكون: بالخلق، والتدبير، والتغيير، والتسيير، والزيادة، والنقص، والإحياء، والإماتة، ولا يشاركه أحد في فعله سبحانه [21].

وأما الذين يقرون بأن الله رب كل شيء، ولا يوحدونه في ألوهيته فيشركون معه غيره في عبادته، ولا يوحدونه في أسمائه وصفاته، فيعطلونها أو يشبهونها بصفات المخلوق، أو يؤولونها تأويلات فاسدة لا وجه لها، فان هذا التوحيد لا ينفعهم، ولا يخرجهم من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان، فقد حكى الله سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وظلوا مع ذلك مشركين [22].

ولذلك قال عنهم الله عز وجل {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} [يوسف 106]، فقد قال مجاهد في هذه الآية: (إيمانهم بالله قولهم إن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذه إيمانهم مع شرك عبادتهم غيره) [23]، وقالت طائفة من السلف: (تسالهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون الله، وهم مع هذا يعبدون غيره) [24].

---

21 كتاب الإيمان للشيخ محمد نعيم.
22 شرح العقيدة الطحاوية.
23 تفسير الطبري.
24 تفسير ابن كثير.

وقد أخبر الله عنهم في قوله سبحانه: {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم} [الزخرف 9]، وقال أيضا: {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون} [الزخرف 87].

النوع الثاني: توحيد الألوهية:

ومعناه بعبارة إجمالية: الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده سبحانه بالعبادة، وبيانه: أن الاه هو المألوه، أي معبود، والعبادة في اللغة هي الانقياد والتذلل والخضوع [25].

فتوحيد الألوهية مبني على إخلاص العبادة لله وحده، في باطنها وظاهرها، بحيث لا يكون شيء لغيره سبحانه، فالمؤمن بالله يعبد الله وحده ولا يعبد غيره، فيخلص لله المحبة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخضوع وجميع أنواع العبادة وأشكالها.

يقول ابن تيميه: (وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين) [26].

يقول الشيخ محمد نعيم: (هذا ويستلزم توحيد الله في ألوهيته أن نتوجه إليه وحده، بجميع أنواع العبادة وأشكالها، وهذه عبارة تدخل فيها أمور كثيرة، نذكر منها:

وجوب إخلاص المحبة لله عز وجل، فلا يتخذ العبد ندا لله في الحب يحبه كما يحب الله، أو يقدمه في المحبة على حب الله عز وجل، فمن فعل ذلك كان من المشركين، قال عز وجل: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حبا لله} [البقرة 165]، فمن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه أن يتخذ العبد من دون الله ندا يحبه كما يحب الله عز وجل) [27].

وجوب افرد الله تعالى في الدعاء والتوكل والرجاء فيما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه، قال عزوجل: {ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من

---

[25] انظر أساس البلاغة للزمخشري.
[26] رسالة الحسنة والسيئة لابن تيمية.
[27] شرح قصيدة ابن القيم.

الظـالمين} [يـونس 106) وقـال تعـالى: {وعلـى اللـه فتوكلوا إن كنتم مؤمنين} [المائدة 23]، وقال تعالى: {إن الذينءامنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سـبيل اللـه أولئـك يرجون رحمة من الله والله غفور رحيم} [البقرة 218].

وجوب إفراد الله عز وجل بالخوف منه فمن اعتقـد أن بعض المخلوقات تضره بمشيئتها وقدرتها، فخاف منها فقـد أشرك بالله، لقوله تعالى: {فإياي فارهبون} [النحـل 51]، وقوله أيضا: {وان يمسسك الله بضر فلا كاشف لـه إلا هـو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم} [يونس 107].

وجوب إفراد الله سبحانه بجميع أنواع العبادات البدنيـة من صـلاة وركـوع وسـجود وصـوم وذبـح وطـواف، وجميـع العبـادات القوليـة مـن نـذر واسـتغفار وغيـر ذلـك، فهـذه العبادات وغيرها يجب أن تكون لله وحده ومن صـرف منهـا شيئا لغير الله فقد أشرك، لقوله تعالى: {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشـاء ومـن يشـرك بـالله فقد افترى إثما مبينا} [النساء 84]) [28].

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

ومعناه بعبارة إجماليـة الاعتقـاد الجـازم بـأن اللـه عـز وجل متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صـفات النقص، وأنه متفرد عن جميع الكائنات.

وواضح من هذا التعريف أن توحيـد الأسـماء والصـفات يقوم على ثلاثة أسس، من حاد عنها لم يكن موحدا ربه في أسمائه وصفاته [29]:

فالأساس الأول: فهو تنزيه الله عز وجل عـن أن يشـبه شيء من صفاته شيئا من صـفات المخلـوقين، وهذاالأصـل يدل عليه قوله تعالى: {ليس كمثله شيء} [الشورى 11]، وقوله تعالى: {ولم يكن له كفؤا أحد} [الإخلاص 4) وقـوله تعالى: {فلا تضربوا لله الأمثال} [النحل 74].

والأساس الثاني: يقتضي وجـوب الاقتصـار فيمـا يثبـت لله من الأسماء والصفات علـى مـا ورد منهـا فـي القـرءان

---

[28] كتاب الإيمان لمحمد نعيم.
[29] انظر منهج ودرسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ الشـنقيطي ص 3 / 25.

الكريم أو في السنة الثابتة، فهي تتلقى عن طريق السمع، لا بالآراء، فلا يوصف الله عز وجل إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلوات الله عليه وسلامه، ولا يسمى إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله عليه الصلاة والسلام، لأن الله عزوجل أعلم بنفسه وصفاته وأسمائه، قال تعالى: {قل أأنتم أعلم أم الله} [البقرة 14].

والأساس الثالث: فيقتضي من العبد المكلف أن يؤمن بتلك الصفات والأسماء المنصوص عليها في الكتاب والسنة من غير سؤال عن كيفيتها، ولا بحث عن كنهها وذلك لأن معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الذات ،لأن الصفات تختلف باختلاف موصفاتها وذات الله عز وجل لا يسأل عن كنهها وكيفيتها، فكذلك صفاته سبحانه لا يصح السؤال عن كيفياتها، ولذلك أثر عن كثير من السلف أنهم قالوا عندما سئلوا عن كيفية استواء الله عز وجل: (الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) [30]، فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا وأن السؤال عنه بدعة.

ثانيا: الإيمان بالملائكة:

والمقصود به الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها [31].

ويجب على المؤمن أن يؤمن بوجودهم، وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة أو نقصان ولا تحريف، قال تعالى: {ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملائكته وكتبه ورسله} [البقرة 284]، وفي الحديث الذي رواه بخاري ومسلم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، حينما سأله جبريل عن الإيمان،فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه...)، ومن هنا كان إنكار وجودهم كفر بإجماع المسلمين، قال تعالى: {ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم ءالاخر فقد ضل ضلالا بعيدا} [النساء 135].

صفتهم الخلقية: إن الخالق عز وجل لم يخبرنا من صفاتهم الخلقية إلا النذرالقليل، فأخبرنا سبحانه أنهم خلقوا

---

[30] الروضة الندية.
[31] انظر الأسئلة والأجوبة الأصولية.

قبل خلق أدم [32]، قال تعالى: {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة}.

وأما عن المادة التي خلقوا منها، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أنهم خلقوا من نور، فقال صلى الله عليه وسلم: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم) [33].

وكما يجب الإيمان بأن للملائكة وظائف كلفهم الله بها، ومن أنكر شيئا من هذه الوظائف فقد كفر، ومن هذه الوظائف مثلا تقسيم الأرزاق بين الناس،{فالمقسمات أمرا} [الذاريات 4]، [34]، ومنها الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين {والناشطات نشطا} [النازعات 2]، [35]، ومنها الموكلة بقبض أرواح الكافرين{والنازعات نزعا} [النازعات 1] ، [36]، ومنها ملك الوحي "جبريل"، ومنها ملك الموت، وغيره...الخ.

ثالثا: الإيمان بكتب الله عز وجل:

ومن أركان الإيمان أن تؤمن بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، فكما أن الله عز وجل قد أنزل القرءان على محمد صلى الله عليه وسلم فقد أنزل كتبه من قبل على سائر الرسل.

ومن هذه الكتب ما سماه الله لنا في القرءان الكريم، ومنها مالم يسمه لنا، والذي أخبرنا به عز وجل هو:

1) التوراة: التي نزلت على موسى عليه السلام، قال سبحانه: {إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيئون الذين أسلموا للذين هادوا} [المائدة 46].

2) الإنجيل: الذي نزل على عيسى عليه السلام، قال سبحانه: {ثم قفينا بعيسى بن مريم وءاتيناه الإنجيل} [الحديد 27].

---

[32] فتح الباري.
[33] رواه مسلم وأحمد.
[34] راجع كتاب صفوة التفاسير للصابوني
[35] راجع كتاب صفوة التفاسير للصابوني
[36] راجع كتاب صفوة التفاسير للصابوني

3) الزبور: الذي أنزل على داوود عليه السلام، قال تعالى: {وءاتينا داوود زبورا} [الإسراء 55].

4) الصحف: التي أنزلت على إبراهيم وموسى عليه السلام، قال تعالى: {إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى} [الأعلى 14-19].

وأما الكتب الأخرى التي أنزلت على سائر الرسل فلم يخبرنا الله عز وجل عن أسمائها، وانما أخبر سبحانه أن لكل نبي رسالة بلغها قومه، فقال: {كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه} [البقرة 211].

<u>الواجب علينا نحو هذه الكتب:</u>

يجب علينا أن نؤمن بها إجمالا، ولا يجوز لنا أن ننسب لله كتابا سوى الذي نسبه لنفسه سبحانه.

أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله سبحانه، وأن ما نسب إليها دون ذلك فهو تحريف وباطل.

وأن نؤمن بأن القرءان الكريم هو آخر الكتب التي أنزلها الله، وأنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية، قال تعالى: {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه} [المائدة 48]، وأنه جاء بشريعة عامة للبشر فيها كل ما يلزمهم للسعادة في الدارين، وأنه هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه، فقال سبحانه: {إنا نحن نزلنا الذكرى وإنا له لحافظون} [الحجر 9].

والحق الذي لا يمارى فيه أنه لا يوجد على ظهر الأرض كتاب تصح نسبته إلى الخالق تبارك وتعالى سوى القرءان الكريم، وذلك لأنه:

أ) هذه الكتب التي نزلت قبل القرءان قد ضاعت نسخها الأصلية.

ب) أنها قد اختلط فيها كلام الله مع كلام الناس.

ج) وقع التحريف فيها، ومن أعظم الأدلة على ذلك تعدد نسخها واختلافها. د) العقائد الفاسدة التي نسبوها لها.

رابعا: الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

ومن أركان الإيمان: الإيمان بالله ورسله، وهو التصديق بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه، وأن الله عز وجل أرسل رسلا سواهم لم يعلم عددهم ولا أسمائهم إلا الله عز وجل، قال تعالى: {ولقد أرسلنا رسلا من قبلك فمنهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك} [غافر 77].

الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن:

لقد ذكر الله في كتابه الكريم خمس وعشرين نبيئا ورسولا هم: آدم ونوح وإدريس وصالح وإبراهيم وهود ولوط ويونس وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون واليسع وذا الكفل وداوود وزكرياء وسليمان وإلياس ويحيى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال تعالى: {وتلك حجتنا ءاتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذالك نجزي المحسنين وزكرياء ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين} [الأنعام 84 إلى 87]، وورد ذكر الأخرين في مواضع أخرى، فقال تعالى: {والى عاد أخاهم هودا} [هود 50]، وقال: {والى ثمود أخاهم صالحا} [هود 60]، وقال: {والى مدين أخاهم شعيبا} [هود 83]، وقال: {إن الله اصطفى آدم ونوحا} [آل عمران 33]، وقال: {وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين} [الأنبياء 84]، وقال: {محمد رسول الله} [الفتح 29].

فهؤلاء الرسل والأنبياء يجب الإيمان برسالتهم ونبوتهم، فمن أنكر نبوة أحدهم، أو أنكر رسالة من بعث منهم برسالة، فقد كفر.

أولو العزم من الرسل:

وأولو العزم من الرسل، كما ذكر كثير من العلماء، خمسة هم: محمد، إبراهيم، موسى، نوح، عيسى، عليم أفضل الصلاة والسلام. وقد ذكرهم الله تعالى في قوله: {وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم} [الأحزاب 7].

تعريف النبي: هو الذي أوحى الله إليه بشرع ولم يأمره بتبليغه.

تعريف الرسول: هو الذي أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه.

ويجب أن تأمن بأن الله تعالى أرسل رسله إلى الخلق لتبشيرهم وإنذارهم، تبشيرهم برضوان الله وثوابه وجنته إن هم آمنوا له ولرسالته وأطاعوه، وإنذارهم من غضب الله إن هم كفروا وعصوا.

<u>الواجب علينا نحو الرسل:</u>

يجب علينا تصديق رسل الله جميعا، وأن لا نفرق بينهم، فمن آمن ببعضهم وكفربالآخرين فقد كفر،قال تعالى: {إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفربعض ويريدون أن يتخذوا بين ذالك سبيلا أولائك هم الكافرون حقا} [النساء 150].

كما يجب أن نؤمن بأن كل رسول أرسله الله تعالى أدى أمانته وبلغ رسالته على الوجه الأكمل، ويجب علينا طاعتهم وعدم مخالفتهم،قال تعالى: {من يطع الرسول فقد أطاع الله} [النساء 79].

ويجب أن نعتقد أنهم أكمل الخلق علما، وأصدقهم وأكملهم أخلاقا، وأن الله عز وجل عصمهم من الكذب والخيانة والكتمان التقصير في التبليغ وعن الكبائر كلها والصغائر ؛

وكما يجب أن نؤمن بأن رسل الله جميعا كانوا رجالا من البشر ولم يكونوا من الملائكة ولم يبعث الله إناثا، قال تعالى: {وما أرسلنا قبلك إلا رجالا يوحى إليهم} [الأنبياء 7]، ونؤمن أن الله سبحانه لم يخصهم بطبائع أخرى غير البشرية، وأن الله تعالى أيدهم بالمعجزات الباهرة.

ويجب أن نؤمن بأن محمد صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله وعبده وصفيه، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله عز وجل: {ولاكن رسول الله وخاتم النبيين} [الأحزاب 40]، ولما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: (وأنا خاتم النبيين) [37].

كما يجب أن نؤمن انه عليه الصلاة والسلام مبعوث للناس والجن جميعا، قال تعالى: {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا} [الفرقان 1].

وكما يجب أن نؤمن بأن الله تعالى أيده بالمعجزات الدالة بيقين على صدقه صلى الله عليه وسلم، وأن القرءان معجزته الباهرة تحدى به العالمين، فعجزوا عن الإتيان بمثله.

خامسا: الإيمان باليوم الآخر:

ومعناه بصورة إجمالية: الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وماأعد الله تعالى لأهلهما جميعا [38].

والمراد باليوم الآخر هو فناء هذا العالم كله وانتهاء هذه الحياة بأكملها وابتداء حياة جديدة، وهي حياة الآخرة، فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم في هذه الحياة،وعلى أول يوم في الحياة الثانية، إذ هو يوم واحد.

الآيات الدالة على اليوم الآخر من كتاب الله:

لقد دل على الإيمان باليوم الآخر، كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما يدل عليه العقل والفطرة السليمة، فمن أنكر شيئا منها، أو أنكر وجود اليوم الآخر فقد كفر، ونستعرض منها قوله تعالى: {الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه} [النساء 87]، و{إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى} [طه 15]، و{ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر} [البقرة

---

[37] متفق عليه
[38] كتاب الإيمان.

177]، و{ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا} [النساء 136]، و{زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا} [التغابن 7]... وغير هذه كثير.

وعلى هذا الأساس، ولزيادة اليقين ننقل لك بعض الأدلة العقلية التي يقبلها العقل ويصدق بها:

1) أن الشيء إذا لم يكن، ثم كان وأعدم، كانت إعادته أسهل على من بدئه أول مرة، فالذي بنى دارا ثم هدمها لا يستحيل عليه إعادة بناؤها.

2) الأرض الميتة التي تنعدم فيها الحياة تماما، ينزل بها الغيث أو تسقى بالماء، تعود إلى الحياة كما كانت، وكذلك البعث.

3) القدرة الكافية التي بها خلق آدم من تراب وذريته من نطفة ،فصاحب هذه القدرة) وهو الله) في استطاعة على إعادة الخلق.

4) سلوك الناس في هذه الحياة، بالخير أو بالشر، بالصلاح أو بالفساد، تدل على وجود حياة أخرى يجزى فيها كل عامل بما عمل من خير أو شر.

5) التكاليف الشرعية،تدل على وجود حياة أخرى، يتم فيها الجزاء على القيام بها.

تفصيل الإيمان باليوم الآخر:

يجب أن تؤمن بكل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه حق، وتصدق به، ولاتنكر منه شيئا، فإن أنكرت منه شيئا فقد كفرت، وسنذكر لك أهم ما ذكر في القرءان وأهم ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم:

1) فتنة القبر وسؤال الملكين:

ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أسماء رضي الله عنها

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (ما من شيء لم أكن أريته في مقامي، حتى الجنة والنار، فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم، مثل أو قريبا من فتنة

المسيح الدجال، يقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المـؤمن أو الموقن فيقول: هـو محمـد رسـول اللـه، جائنـا بالبينـات والهدى، فأجبنا واتبعنا، هو محمد، ثلاثا، فيقال ك نم صـالحا، قـد علمنـا أن كنـت لموقنـا بـه، وأمـا المنـافق أو المرتـاب فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته) [39].

2) عذاب القبر ونعيمه:

ومن ثم بعد فتنة القبر فيجب أن تؤمن بـأن هنـاك فـي القبر عـذاب أو نعيـم، قـال تعـالى مخـبرا عـن آل فرعـون: {وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غـدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العـذاب} [غافر، 46].

3) أشراط الساعة:

يجـب أن نـؤمن أن السـاعة آتيـة لا ريـب فيهـا، وأن موعدها لا يعلمه إلا الله، ولكن يجب أن تـؤمن أيضـا أن لهـا علامات أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، وقـد صح عن رسول الله أن لها علامات صغرى وكبرى:

فأما العلامات الصغرى فنذكر منها:

أ) ما أخرجه بخاري ومسلم مـن قـول الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم: (بعثـت أنـا والسـاعة كهـاتين)، وأشـار بالسبابة والوسطى [40].

ب) عندما سأل جبريـل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم عن أمارات الساعة، فقال: (أن تلد الأمة ربتهـا، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) [41].

ج) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال: (لا تقـوم السـاعة حـتى تقتتـل فئتـان عظيمتـان، يكـون بينهمـا مقتلـة عظيمـة دعوتهمـا واحـدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهـم يزعـم أنـه رسـول اللـه، وحـتى يقبـض العلـم، وتكـثر الـزلازل ،ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهـرج وهـو القتـل، وحتى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتى يهـم رب المـال مـن

---

[39] متفق عليه.
[40] متفق عليه
[41] متفق عليه.

يقبل صدقته، وحتى يعرضه، فيقول الذي يعرضه عليه: لاأرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ،ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه، ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه، فلا يطعمها) [42].

د) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن من أشراط الساعة، أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويكثر النساء، ويقل الرجال، حتى ليكون لخمسين امرأة قيم واحد).

هـ) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ فقال: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: (إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) [43].

و) وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) [44].

وأما العلامات الكبرى، فقد ذكر لنا رسول الله صلى الله عيه وسلم منها عشر آيات [45]، وفيما يلي نبين لك أهمها حسب ما ذكره العلماء:

أ) طلوع الشمس من مغربها: هذه هي أول علامة في العلامات الكبرى ظهورا [46]، وعند ظهور هذه العلامة يغلق باب التوبة، يقول تعالى: {يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها

---

42 البخاري.
43 البخاري.
44 متفق عليه.
45 صحيح مسلم بشرح النووي.
46 فتح الباري.

خيرا}، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا) [47].

ب) خروج الدابة: وقد أخبر الله تعالى عنها في القرءان، حيث قال: {وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون} [النمل 82]، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا).

ج) ظهور الدجال: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فأثنى عليه الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: (إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه: إنه أعور وإن الله ليس بأعور) [48].

د) نزول عيسى عليه السلام: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية) [49].

ه) خروج يأجوج ومأجوج: قال تعالى: {حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق} [الأنبياء 96].

4) بداية اليوم الآخر: يجب أن تؤمن بكل ما ذكره الله عز وجل في كتبه العزيز من بداية اليوم الآخر، وهو كثير في القرءان الكريم، قال تعالى: {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار} [إبراهيم 48]، ومن ذلك أيضا سورتي التكوير والإنفطار.

5) البعث: ونؤمن بعدها أن الله سبحانه يأمر بالنفخة الثانية، فتعود الحياة للأموات، فحين إذن يقول الكفار{يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا} [يس 52].

---

[47] مسلم و أبو داود.
[48] متفق عليه.
[49] متفق عليه.

6) الحشر: ونؤمن أنه يكون الحشر بعد البعث، قال تعالى: {يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا} [مريم 85].

7) جزاء الأعمال: ونؤمن أن العباد مجزيون بأعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، يقول تعالى: {يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين} [النور 25].

8) العرض والحساب: ونؤمن أن الجزاء يكون بعد محاكمة عادلة يعرض فيها الناس عند ربهم، وتقام عليهم الحجج، يقول تعالى: {وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة} [الكهف 48].

9) الحوض: ويكون أول من يرده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم ترده من بعده أمته، ويطرد عنه الكفار وطائفة من الكفار، وطائفة من العصاة وأهل الكبائر [50]، يقول صلى الله عليه وسلم: (حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يضما أبدا) [51].

10) الميزان: ويجب أن نؤمن بما أخبر به الله، ورسوله صلى الله عليه وسلم، من أن أعمال العباد يوم القيامة توزن بميزان، قال تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين} [الأنبياء 47].

11) الصراط: ونؤمن أنه يكون بعد الحساب الميزان انصراف الناس من الموقف ليمروا فوق الجسر المنصوب على نار جهنم، وهو الصراط، وهذا المرور هو الورود المذكور في قوله تعالى: {وإن منكم إلا واردها} [مريم 71]، [52].

10) الجنة والنار: الجنة والنار ورد ذكرهما في القرءان كثيرا مما يكاد لايحصى، فلذلك يجب أن نؤمن بوجودهما، وأن الله أعدهما لثواب والعقاب، يقول تعالى: {ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا

---

[50] الدين الخالص.
[51] صحيح البخاري
[52] راجع تفسير ابن كثير.

ربنا حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقـا قـالوا نعـم فـأذن مؤذن ينهم أن لعنة الله علىالظالمين} [الأعراف 44].

سادسا: الإيمان بقضاء الله وقدره:

الإيمان بالقدر أحد أركان العقيدة، وهو الركن السادس للإيمان، فمن كفر بقدر الله خرج من ديـن اللـه عـز وجـل، قـال تعـالى: {إنـا كـل شـيء خلقنـاه بقـدر} [القمـر 49]، ويقول صلى الله عليه وسلم، في حديث جبريل المشــهور: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخـر وتـؤمن بالقدر خيره وشره) [53].

تعريف القضاء والقدر:

القدر: هو علم الله تعالى بما تكـون عليـه المخلوقـات في المستقبل [54].

القضـاء: هـو إيجـاد اللـه تعـالى الأشـياء حسـب علمـه وقدره.

يقول شـيخ الإسـلام ابـن تيميـه رحمـه اللـه: (الإيمـان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علـم مـا الخلـق عاملون، بعلمه القـديم الـذي هـو موصـوف بـه أزلا، وعلـم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصـي والأرزاق والآجـال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق.

وأما الدرجة الثانية: فهي الإيمان بمشيئة الله النافــذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كـان ومـا لـم يشأ لـم يكـن، ومـع ذلـك فقـد أمـر العبـاد بطـاعته وطاعـة رسوله ونهاهم عن معصيته) [55].

آيات القدر في القرآن الكريم:

---

[53] متفق عليه.
[54] تبسيط العقائد الإسلامية لحسن أيوب.
[55] ملخص كلام ابن تيمية في الروضة الندية.

واستمع بآذان صاغية إلى قول الله تعالى، وهو يخبر عن قدرته وحكمته فيه، ومشيئته له، وقضائه به، سبحانه تبارك وتعالى: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذالك على الله يسير} [الحديد 21]، {وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم} [الحجر 21]، {وخلق كل شيء فقدره تقديرا} [الفرقان 2]، {وكل شيء عنده بمقدار} [الرعد 8].

وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك،رفعت الأقلام وجفت الصحف) [56]، وغيرها كثير من الآيات والأحاديث.

الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب:

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أننا مأمورون بالأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله عز وجل، والإيمان بأن الأسباب لاتعطي النتائج إلا بإذن الله سبحانه وتعالى.

ولذا يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب، فلو ترك إنسان السعي في طلب الرزق لكان آثما، مع أن الرزق بيد الله سبحانه وتعالى، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأسباب مشروعة هي من القدر، فقيل له: أرأيت رقى نسترقي بها، وتقى نتقي بها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال: (هي من قدر الله) [57].

فالإلتفات إلى الأسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات، شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع [58].

ولذا بكّت عمر ابن الخطاب جماعة من أهل اليمن، كانوا يحجون من غير زاد، فذمهم، قال معاوية: لقي عمر ابن الخطاب ناسا من أهل اليمن،فقال: (من أنتم؟)، قالوا: نحن المتوكلون، قال: (بل أنتم المتاكلون، إنما

---

[56] سنن الترمذي.
[57] زاد المعاد.
[58] مجموع الفتاوى الكبرى لابن تيمية.

المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض، ثم يتوكل على الله) [59].

يقول ابن القيم: (لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى... وإن تعطيلها يقدح في نفس المتوكل... وإن تركها عجزا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلا، ولا توكله عجزا) [60].

---

[59] جامع العلوم والحكم.
[60] زاد المعاد.

الباب الرابع
نواقض الإيمان

إن معرفة نواقض الإيمان أمر مهم جدا وخطير، ونظرا لانتشار الشرك والكفر - ما بين أصغر وأكبر - بين الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله، صار يجب علينا معرفته مخافت الوقوع فيه، قال تعالى: {وكذالك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين} [الأنعام 55].

في هذا الباب إن شاء الله سوف نعرض عليك أنواع نواقض الإيمان مع تفصيل كل نوع منها [61].

النوع الأول: نواقض الإيمان القولية:

أ) نواقض الإيمان القولية في التوحيد:

1) في توحيد الربوبية: وهذا التوحيد يخالفه وينافيه نواقض قولية كثيرة، من أهمها:

الشرك في الربوبية:

والشرك في الربوبية هو: (أن يجعل لغير الله تعالى معه تدبيراً ما[62]. وله ضروب متعددة:

1) فمنه شرك التعطيل، كشرك فرعون، ومن شرك التعطيل،إنكار ربوبية الله تعالى كما وقع فيه شرذمة من الملاحدة قديماً وحديثاً.

2) ومنه القول بوحدة الوجود، وهم الذين يزعمون أن الله تعالى هو عين الخلق، تعالى عما يقولون علوا كبيراً.

الاعتقاد بقدم العالم:

---

[61] هذا الباب كله مأخوذ من كتاب نواقض الإيمان القولية والفعلية للشيخ عبد العزيز بن محمد بن علي.
[62] اقتضاء الصراط المستقيم.

ومعناه: (أن العالم لـم يـزل موجـوداً مـع اللـه تعـالى، ومعلولاً له، ومساوقاً له، غير متأخر عنه بالزمان، مسـاوقة المعلوم للعلة، ومساوقة النور للشمس، وأن تقـدم البـاري كتقدم العلة على المعلـول، وهـو تقـدم بالـذات والرتبـة، لا بالزمان) [63].

يقول ابن تيمية: (وأصل قول هـؤلاء – الفلاسـفة -: أن الأفلاك قديمة أزلية وأن الله لم يخلقها بمشيئته وقدرته في ستة أيام كما أخبرت به الأنبياء) [64].

ويقول أيضاً: (بل حقيقة قولهم أن الحـوادث حـدثت بلا محدث، وكذلك عدمت بعد حـدوثها مـن غيـر سـبب يـوجب عدمها على أصلهم) [65].

ولما أورد أحمد الدردير المـالكي فـي موجبـات الـردة، ذكر منها: القول بقدم العالم، فقال: (والقول بقدم العـالم؛ لأنه يؤدي إلى أنه ليس له صانع، أو أن واجب الوجود تعـالى علة فيه، وهو يستلزم نفي القدرة والإرادة، وهو ظاهر فـي تكذيب القرآن وتكـذيب الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم) [66].

سب الله عز وجل والاستهزاء به:

إن الإيمان بـالله تعـالى مبنـي علـى التعظيـم والإجلال للرب عز وجل، ولا شك أن سب الله تعالى والاسـتهزأ بـه يناقض هذا التعظيم ولا يجامعه.

ويقول ابن تيميـة: (السـب هـو الكلام الـذي يقصـد بـه الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السب في عقـول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقبيح ونحوه، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: {وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ} [الأنعام آية 108]) [67].

قال تعالى:{يَحْـذَرُ الْمُنَـافِقُونَ أَن تُنَـزَّلَ عَلَيْهِـمْ سُـورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَـا فِـي قُلُـوبِهِمْ قُـلِ اسْـتَهْزِؤُوا إِنَّ اللّـهَ مُخْـرِجٌ مَّـا تَحْذَرُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَـبُ قُـلْ

---

63 تفاوت الفلاسفة للغزالي.
64 الفتاوى الكبرى.
65 الفتاوى الكبرى.
66 حاشية الدسوقي.
67 الصارم المسلول.

أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ}[التوبة، الآيات 64-66].

يقول ابن تيمية: (وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وآياته وبرسوله كفر فالسب المقصود بطريق الأولى) [68].

وقال أيضا: (إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان السباب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً، أو كان ذاهلاً عن إعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل، وقد قال ابن راهوية: قد أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسوله عليه الصلاة والسلام... أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بما أنزل الله، وقال القاضي أبو يعلي في "المعتمد": من سب الله أو سب رسوله فإنه يكفر، سواء استحل سبه أو لم يستحله) [69].

2) في توحيد الأسماء والصفات:

توحيد الأسماء والصفات يناقضه ويخالفه الشرك والإلحاد في أسمائه وصفاته، فالشرك في الصفات يكون باتخاذ شريك أو ند مع الله تعالى في ذلك، وأما الإلحاد في أسمائه.

فكما يقول ابن القيم: (الإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها وهو ماخوذ من الميل، كما يدل عليه مادته ل ح د، والإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن يسمي الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا عن أسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته، أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك الثالث: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود إنه فقير، وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه.

---

[68] نفس المرجع.
[69] الصارم المسلول.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني...

خامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيراً) [70].

ومعنى الكفر في صفات الله تعالى: (فهو إنكار ما علم ثبوته منها بعد البلاغ، أو الإلحاد فيه بتحريفه عن المقصود بدون شبهة يعذر بمثلها).

3) في توحيد العبادة:

ويبين ابن القيم أهمية هذا التوحيد وعظم الحاجة إليه، فيقول: (اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم، والسجود، والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولابد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له، ورضاه وإكرامه لها) [71].

ويقول إسماعيل الدهلوي: (إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله بذاته العلية، وجعلها شعاراً للعبودية، لأحد من الناس كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له والاستغاثة به في الشدة... كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركاً، وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان، أو الملك، أو الجن الذي يسجد له، أو ينذر له، أو يذبح له، أو يستغيث به دون الله شأناً، وأن الله هو الخالق) [72].

ب) نواقض الإيمان القولية في النبوات:

1) في الأنبياء عليهم السلام: وفيه نقطتان نتطرف بكل واحدة منها على حدى:

---

[70] بدائع الفوائد.
[71] طريق الهجرتين.
[72] رسالة التوحيد.

أولا: في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ولاشك أن علينا تجاه هذا النبي الكريم حقوقاً كثيرة يجب القيام بها وتحقيقها، فلابد من تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

وإن من أهم ما يجب علينا تجاه حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم أن نحقق محبته اعتقاداً وقولاً وعملاً، ونقدمها على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين.

سب الرسول:

ساق ابن تيمية أنواع السب وصوره فقال: (التكلم في تمثيل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر صفته، وذلك مما يثقل على القلب واللسان، ونحن نتعاظم أن نتفوه بذلك ذاكرين، لكن للاحتياج إلى الكلام في حكم ذلك، نحن نفرض الكلام في أنواع السب مطلقاً من غير تعيين، والفقيه يأخذ حظه من ذلك، فنقول السب نوعان: دعاء وخبر، أما الدعاء، فمثل أن يقول القائل لغيره: لعنة الله، أو قبحه الله، أو أخزاه الله، أو لا رحمه الله، أو لا رضي الله عنه، أو قطع الله دابره، فهذا وأمثاله سب للأنبياء ولغيرهم...

النوع الثاني: الخبر، فكل ما عده الناس شتماً أو سباً أو تنقصاً فإنه يجب به القتل، كالتسمية باسم الحمار أو الكلب، أو وصفه بالمسكنة والخزي والمهانة، أو الإخبار بأنه في العذاب، وأن عليه آثام الخلائق ونحو ذلك، وكذلك إظهار التكذيب على وجه الطعن في المكذب مثل وصفه بأنه ساحر خادع محتال، وأنه يضر من اتبعه، وأن ما جاء به كله زور وباطل ونحو ذلك) [73].

أما حكم سب الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه من نواقض الإيمان، التي توجب الكفر ظاهراً وباطناً، سواء استحل ذلك أو لم يستحله.

ويقول ابن تيمية: (إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهراً أو باطناً، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل) [74].

---

[73] الصارم المسلول.
[74] نفس المرجع.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا {57}وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} [الأحزاب، آية 57, 58].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح، وعلى رأسه المغفر فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: (اقتلوه) [75].

ثانيا: في سائر الأنبياء عليهم السلام: تظهر أهمية الإيمان بالأنبياء بأنه الطريق إلى الإيمان بالله تعالى، فلا يتحقق الإيمان بالله عز وجل بدون الإيمان بالأنبياء عليهم السلام.

يقول بن تيمية: (وبالجملة فينبغي للعاقل أن يعلم أن قيام دين الله في الأرض إنما هو بواسطة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلولا الرسل لما عبد الله وحده لا شريك له، ولما علم الناس أكثر ما يستحقه سبحانه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، ولا كانت له شريعة في الأرض) [76].

إن الإيمان بالرسل عليهم السلام يتضمن تصديقهم، وإجلالهم، وتعظيمهم كما شرع الله تعالى وأنهم أفضل الخلق عند الله تعالى، قد اختصهم الله تعالى بوحيه، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه، وهم أكمل الخلق علماً وعملاً.

وأما الأقوال التي تناقض الإيمان بالأنبياء عليهم السلام، فلها صور متعددة، وأمثلة كثيرة، منها سبهم والطعن فيهم، والاستهزاء بهم وتنقصهم، أو إنكار نبوة واحد منهم، أو القول بتفضيل الأئمة عليهم، أو إنكار معجزاتهم وأياتهم.

ونلخص القول في هذه المسألة بما قاله القاضي عياض، حيث يقول: (من استخف بمحمد صلى الله عليه وسلم، أو بأحد من الأنبياء، أو أزرى عليهم، أو آذاهم... فهو كافر بالإجماع) [77]، ويقول أيضاً: (وحكم من سب سائر

---

[75] رواه البخاري.
[76] الصارم المسلول.
[77] الشفا 2/ 1069

أنبياء الله تعالى... واستخف بهم أو كذبهم فيما آتوا به، وأنكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم... قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} [النساء، آية 150، 151) وقال تعالى: {كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} [البقرة، آية 285]) [78].

2) في إدعاء النبوة:

النبوة منة من الله تعالى، وفضل منه عز وجل، وهي اصطفاء واختيار الله تعالى عبداً من عباده بتبليغ الوحي إليه، قال تعالى لموسى عليه السلام: {اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي} [الأعراف، آية 44]، وقال عز وجل: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا} [مريم، آية 58].

وإذا كان الأمر كذلك، فإن ادعاء النبوة – كذباً وزوراً – من أشنع الكذب وأقبحه، كما يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: (إن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟) [79].

وإدعاء النبوة قد يكون بأن يدعي شخص النبوة لنفسه كذباً وافتراء، إما استقلالاً، أو شركة مع نبي آخر، وقد يكون بتصديق من ادعاها، أو القول بتجويزها بعد ختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم، أو زعم أنه يمكن اكتسابها، أو ادعى أنه يوحى إليه، أو ينكر ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم. فكل هذه الصور – وما يلحق بها من أمثالها – من نواقض الإيمان القولية في النبوات.

وأما من صدق بأن هنالك نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم فقد اجمعت الأمة على كفره، كما يقول عبد القاهر البغدادي: (أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن

---

[78] المرجع السابق.
[79] شرح العقيدة الطحاوية.

أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام، وآخرهم عند المسلمين محمد صلى الله عليه وسلم) [80].

ويقول ابن حزم: (واتفقوا على أنه لا نبي مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا بعده أبداً) [81]، ويقول في موضع آخر: (وأما من قال أن بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبياً غير عيسى ابن مريم، فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد) [82].

3) في الكتب المنزلة:

من المعلوم أن الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله على رسله عليهم السلام هو أحد أركان الإيمان، قال الله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة، آية 136].

ووجوب الإيمان بهذه الكتب، يعتبر أمراً بدهياً بالنسبة للمؤمن، فما دام يؤمن بالله تعالى، وقد صدق بما نزل من عنده من الوحي، وما دام أن الله تعالى يخبره في كتابه الكريم أنه قد أنزل كتباً سابقة على الأنبياء والرسل، فالواجب أن يؤمن بهذه الكتب المنزلة، ويعتقد يقيناً أنها منزلة من عند الله تعالى.

إن الأقوال التي تناقض الإيمان بالكتب المنزلة لها صور متعددة، وأمثلة كثيرة يصعب حصرها، منها: التكذيب والإنكار لهذه الكتب أو بغضها، أو سبها والطعن فيها، أو الاستهزاء بها وانتقاصها والاستخفاف بها، أوالادعاء باختلاقها وافترائها - وكنا قد شرحنا ذلك في باب الإيمان -

يقول ابن تيمية: (نقل عن الشافعي أنه سئل عمن هزل بشيء من آيات الله تعالى، أنه قال كافر، واستدل بقوله تعالى: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}) [83].

---

[80] أصول الدين.
[81] مراتب الإجماع.
[82] الفصل 3/293.
[83] الصارم المسلول.

ويقول ابن تيمية عن قوله تعالى: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}: (وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر...).

ويقول القاضي عياض: (اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبهما، أو جحده، أو حرفاً منه أو آية، أو كذب به، أو بشيء منه، أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم، أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع، قال الله تعالى: {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت 42].

وكذلك إن جحد التوارة والإنجيل وكتب الله المنزلة، أو كفر بها، أو لعنها، أو سبها، أو استخف بها فهو كافر.

ج) نواقض الإيمان القولية في سائر المغيبات:

أولا: الملائكة والجن:

إن الإيمان بالغيب من أهم صفات عباد الله المؤمنين، حيث أثنى الله تعالى عليهم بقوله {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة، اية 1-5].

يقول الراغب الأصفهاني: (والغيب في قوله تعالى {يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بدائه العقول، وإنما يعرف بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد) [84].

ومن الإيمان بالغيب: الإيمان بالملائكة عليهم السلام، والإيمان بالجن، فأما الإيمان بالملائكة فهو الإقرار الجازم بوجودهم، وأنهم من خلق الله تعالى، وهم {عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء، اية 26, 27]، وأنهم {لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم، اية 6].

---

[84] المفردات.

كما يجب الإيمان بوجود الجن في العالم، وأنهم خلق من خلق الله تعالى وأنهم أحياء عقلاء، ومأمورون ومنهيون، وأن ذلك أمراً متواتر معلوم بالاضطرار [85].

ويقول ابن تيمية: (وجود الجن ثابت بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واتفاق سلف الأمة، وأئمتها، وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أهل السنة والجماعة) [86].

ويقول القرطبي في هذا الشأن: (وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن، اجتراء على الله وافتراء، والقرآن والسنة ترد عليهم) [87].

ويقول الآلوسي: (ونفي الجن كفر صريح كما لا يخفى) [88].

وإذا تقرر وجوب الإيمان بالملائكة عليهم السلام والجن، فإن لهذا الإيمان ما يناقضه من الأقوال كإنكار وجود الملائكة، أو الجن، أو سب الملائكة والاستهزاء بهم.

كما أن إنكار الملائكة والجن مناقض للإيمان بالكتب المنزلة، فالإيمان بالكتب يتضمن الإقرار بها وتصديقها، وإنكار الملائكة والجن هو تكذيب وجحود لآيات الله تعالى، فهو يناقض هذا الإقرار والتصديق، ومن ثم فقد توعد الله تعالى أولئك المنكرين لآياته، المكذبين بها بالعذاب المهين والخلود في نار جهنم. قال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} [الأعراف، اية 40].

ثانيا: اليوم الآخر:

أ) إنكار البعث: لا شك أن إنكار البعث مناقض للإيمان، مهما تنوعت صوره وأمثلته، فقد يكون إنكار لبعث الأرواح والأجساد، وقد يكون إنكار لمعاد الأجساد مع الاعتراف بمعاد الأرواح، وتارة يكون إنكار البعث بالقول بتناسخ الأرواح، ونقلها إلى أجسام أخرى، وتارة أخرى يكون هذا

---

[85] ألفاض القرءان الكريم.
[86] مجموع الفتاوى.
[87] تفسير القرطبي.
[88] روح المعاني

الإنكار بإنكار معاد النفوس الجاهلة دون العالمة. ومن صور هذا الإنكار ما زعمه بعضهم أن البعث عبارة عن خلق أبدان جديدة مغايرة تماماً للأبدان الفانية.

ويقول ابن عبد البر: (وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث، فلا إيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما ينبغي ويكفي، مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت، فلا وجه للإنكار في ذلك) [89].

ب) إنكار الوعد أو الوعيد أو الاستهزاء به: قد حوى القرآن الكريم على وعد ووعيد، فالوعد يكون بالمغفرة والرضوان، والتكريم ودخول الجنان ونحو ذلك من أنواع الثواب، والوعيد يكون إما بلعنة أو غضب أو دخول نار... وغير ذلك من أنواع العقاب، قال الله تعالى: {وَعَدَ اللّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ} [التوبة، آية 68]، وقال سبحانه: {وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [التوبة، آية 7].

ومما يتضمنه الإيمان بالوعد والوعيد: الإيمان بالجنة والنار، وهو التصديق بوجودهما، وأنهما مخلوقتان موجودتان، لا تفنيان ولا تبيدان، وقد تواترت الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة في ذكرهما، وأوصافهما، وأحوالهما... كما أجمع علماء الإسلام على ذلك وحكى الإجماع عدد كبير منهم.

وإذا تقرر وجوب الإيمان بالوعد والوعيد، ومنه الإيمان بالجنة والنار ... فإن ما يناقض هذا الإيمان له عدة صور وأمثلة، فمنها: إنكار الوعد والوعيد، ومنه إنكار الجنة والنار، والقول بأن الوعد والوعيد تخييل للحقائق لكي ينتفع به الجمهور - كما يقول به ملاحدة الفلاسفة - ومن صور هذا الإنكار والاستهزاء؛، ما يدعيه ملاحدة المتصوفة أن الجنة أو النار معان باطنة يقصد بها نعيم الأرواح أو تألمها فقط... أو ما يزعمه بعضهم أن أهل النار يتنعمون في النار، كما يتنعم أهل الجنة في الجنة... ومن صور هذا الكفر؛ السخرية بالوعد والوعيد والاستهزاء بهما... إلى غير ذلك من الأمثلة [90].

د) إنكار حكم معلوم من الدين بالضرورة: الإنكار بمعنى الجحود، وعدم الاعتراف وانتفاء الإقرار، والمقصود

---

89 التمهيد.
90 فتاوى ابن تيمية.

بحكم معلوم من الدين بالضرورة: ما كان ظاهراً متواتراً من أحكام الدين معلوماً عند الخاص والعام، مما أجمع عليه العلماء إجماعاً قطعياً مثل وجوب أحد مباني الإسلام كالصلاة والزكاة ونحوهما، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة مثل الربا والخمر وغيرهما.

يقول ابن تيمية: (إن الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة هو من أعظم أصول الإيمان، وقواعد الدين، والجاحد لها كافر بالاتفاق) [91].

ويقرر النووي أن هذه الأحكام ثابتة بالإجماع المعلوم عند العامة، فيقول: (فأما اليوم وقد شاع دين الإسلام، واستفاض في المسلمين علم وجوب الزكاة حتى عرفها الخاص والعام، واشترك فيه العالم والجاهل، فلا يعذر أحد بتأويل يتأوله في إنكارها، وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئاً مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشراً كالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، والاغتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم... فأما ما كان الإجماع فيه معلوماً عن طريق علم الخاصة كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وأن القاتل عمداً لا يرث، وأن للجدة السدس وما أشبه ذلك من الأحكام، فإن من أنكرها لا يكفر، بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة) [92].

وإذا اتضح مفهوم إنكار حكم معلوم من الدين بالضرورة، فإننا نشير إلى أن هذا الإنكار له عدة صور وأمثلة، فربما كان إنكاراً صريحاً ظاهراً كأن يقول – مثلاً – بإنكار وجوب الصلاة أو الزكاة... أو يقول بحل الربا، أو الخمر... أو يقول بتحريم ما كان حلالاً بالإجماع كالخبز والماء ونحوهما... وقد يكون الإنكار عن طريق تأويل فاسد غير سائغ تأباه اللغة العربية، كتأويل الباطنية القائلين أن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والمحرمات أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم، فقد أجمع العلماء على كفر أصحاب تلك المقالة [93] وكذلك ما يزعمه ملاحدة الصوفية أن من وصل إلى درجة اليقين فقد سقطت عنه التكاليف [94]، ويلحق بهذا الإنكار – في الحكم بالكفر – أن يعترف

---

91 [illegible].
92 [illegible].
93 [illegible].
94 [illegible].

شخص ما بهذا الحكم المعلوم من الدين بالضرورة ... لكنه يعلن عدم قبوله لهذا الحكم، ويأبى أن يذعن لله تعالى، ويرفض الانقياد لهذا الحكم عناداً واستكباراً.

النوع الثاني: نواقض الإيمان الفعلية:

أ) نواقض الإيمان العملية في التوحيد:

1) الشرك في العبادة: عرفنا فيما مضى من هذا الكتاب أن العبادة تكون لله وحده، وأن صرفه لغيره سبحانه شرك، وعرفنا ما هي أنواع العبادة التي أمرنا الله بها، فلذلك لن نطيل الحديث في هذا الموضع، ولكن نكتفي بالقليل.

وإذا تقرر أن هذه الأعمال من العبادات، وأنها حق لله وحده لا شريك له سواء كانت ذبحاً أو نذراً أو سجوداً أو ركوعاً أو طوافاً ونحوها، فإن من جعل شيئاً منها لمخلوق كائناً من كان فقد أشرك بالله تعالى في عبادته، واتخذ مع الله أنداداً.

أ) وبيان ذلك أن الذبح أو النذر لغير الله تعالى شرك بالله تعالى، لأنهما عبادتان يجب صرفهما لله تعالى وحده، فمن صرفهما لغيره فقد أشرك، يقول الله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ} [المائدة آية 3].

ب) وإذا انتقلنا إلى حكم السجود أو الركوع لغير الله تعالى، فهذا من الشرك الظاهر، فلا ريب أن السجود والركوع عبادتان لله وحده لا شريك له، فمن سجد أو ركع لغير الله تعالى فقد أشرك، يقول اللهِ تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} [الرعد، آية 5]، وأمر الله تعالى بالسجود والركوع له تعالى وحده في مواضع كثيرة من كتابه، فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج، آية 77].

ج) وإذا انتقلنا إلى الطواف، فإن المراد بالطواف الذي يكون شركاً هو الطواف بغير الكعبة مع قصد التقرب لغير الله تعالى، كالطواف بالقبور والمشاهد ونحوها، فالطواف عبادة لقوله تعلى: {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج، آية 29].

د) قال سبحانه: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة، آية 5].

قال المقريزي في هذه الآية: (بالجملة فالعبادة المذكورة في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} هي السجود والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً، والدعاء، كل ذلك محض حق الله تعالى) [95].

2) الحكم بغير ما أنزل الله:

لا شك أن تنحية شرع الله تعالى، وعدم التحاكم إليه في شؤون الحياة من أخطر وأبرز مظاهر الانحراف في مجتمعات المسلمين، ولقد كانت عواقب الحكم بغير ما أنزل الله في بلاد المسلمين ما حل بهم من أنواع الفساد وصنوف الظلم والذل والمحق.

ونظراً لأهمية وخطورة هذه المسألة من جانب، وكثرة اللبس فيها من جانب آخر، فنفصل هذه المسألة على النحو التالي:

1) منزلة الحكم بما أنزل الله من الدين:

فرض الله تعالى الحكم بشريعته، وأوجب ذلك على عباده، وجعله الغاية من تنزيل الكتاب، فقال سبحانه: {وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} [البقرة، آية 213]، وقال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ}، وقال سبحانه: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى، آية 42].

يقول ابن تيمية رحمه الله: (ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما

---

[95] تجريد التوحيد.

شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم في أصول دينهم وفروعه، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء أن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما حكم ويسلموا تسليماً) [96].

ويقول محمد رشيد رضا عند تفسيره لقوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ... الآية}: (والآية ناطقة بأن من صد وأعرض عن حكم الله ورسوله عمداً ولا سيما بعد دعوته إليه وتذكيره به، فإنه يكون منافقاً لا يعتد بما يزعمه من الإيمان، وما يدعيه من الإسلام) [97].

وتحقيقاً لتوحيد العبادة القائم على نفي الإلهية عما سوى الله تعالى، وإثباتها لله تعالى وحده، فإنه يجب الكفر بالطاغوت، كما قال تعالى {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا} [البقرة، آية 256].

وقد سمى الله تعالى الحكم بغير شرعه طاغوتاً، حيث قال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا} [النساء، آية 61]، والطاغوت عام. فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت. [98]، مثل حال حكامنا اليوم.

كما أن حقيقة الرضا بالله رباً توجب إفراد الله تعالى بالحكم، واختصاصه تعالى بالخلق والأمر، حيث قال سبحانه: {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} [الأعراف، آية 54]، وقال سبحانه: {قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ} [آل عمران، آية 154]، فالأمر كله لله تعالى وحده، سواء كان هذا الأمر أمراً كونياً قدرياً، أو شرعياً دينياً [99].

يقول العز بن عبدالسلام: (وتفرد الإله بالطاعة لاختصاصه بنعم الإنشاء والإبقاء والتغذية والإصلاح الديني والدنيوي، فما من خير إلا هو جالبه، وما من ضير إلا هو سالبه... وكذلك لا حكم إلا له) [100].

---

96 مجموع الفتاوى.
97 تفسير المنار
98 أعلام الموقعين.
99 تحكيم الشريعة لصلاح الصاوي.
100 قواعد الأعلام.

يقول الله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} [النساء، آية 65].

ويقول ابن القيم عن هذه الآية: (أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع وأحكام المعاد، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم، وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض) [101].

ويقول ابن تيمية: (فكل من خرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته، فقد أقسم الله بنفسه المقدسة، أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين أو الدنيا، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه) [102].

وتحكيم شرع الله تعالى ورد النزاع إلى نصوص الوحيين شرط في الإيمان، كما قال الله تعالى: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء، آية 59].

ولذا يقول ابن القيم: (إن قوله {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ} نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقة وجله، جليه وخفيه، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه، ولم يكن كافياً لم يأمر بالرد إليه، إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع ومنها أنه جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإن انتفى هذا الرد انتفى الإيمان، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه، ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر، ثم أخبرهم أن هذا الرد خير لهم، وأن عاقبته أحسن عاقبة) [103].

---

101 التبيان في أقسام القرءان.
102 مجموع الفتاوى.
103 أعلام الموقعين.

وإذا كان التحاكم إلى شرع الله تعالى شرطاً في الإيمان، فإن التحاكم إلى غير هذا الشرع - وهو حكم الطاغوت والجاهلية – ينافي الإيمان، وهو من علامات النفاق.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا عند قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا} [النساء، آية 60]: (والآية ناطقة بأن من صد وأعرض عن حكم الله ورسوله عمداً، ولا سيما بعد دعوته إليه وتذكيره به، فإنه يكون منافقاً لا يعتد بما يزعمه من الإيمان،وما يدعيه من الإسلام) [104].

ويقرر الشنقيطي أن متبعي المشرعين غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله، ويسوق الأدلة على ذلك، ومنها قوله: (ومن أصرح الأدلة في هذا أن الله جل وعلا في سورة النساء بين أن من يريدون أن يتحاكموا إلى غير ما شرعه الله، يتعجب من زعمهم أنهم مؤمنون، وما ذلك إلا لأن دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت بالغة من الكذب ما يحصل منه العجب، وذلك في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ... الآية}) [105].

2) متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله تعالى ناقضاً من نواقض الإيمان؟

إذا تقرر أن التشريع من خصائص ربوبية الله تعالى، فالحلال ما حلله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله رسوله، فليس لأحد أن يخرج عن شيء مما شرع في دين الله تعالى،بل الواجب اتباع هذه الشريعة. قال تعالى: {اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف، آية 3].

كما يتعين الكفر بالطاغوت، وذلك بعدم التحاكم إليه واعتقاد بطلانه والبراءة منه. قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ

---

[104] تفسير المنار.
[105] أضواء البيان.

بالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا} [البقرة، آية 256].

وأما من تحاكم إلى الطاغوت أو حكم الجاهلية، وهو يدعي الإيمان، فهذه دعوى كاذبة كما هو شأن المنافقين المذكورين في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا} [النساء، آية 60].

وقد سمى الله تعالى الذين يحكمون بغير شرعه كفاراً، وظالمين، وفاسقين، فقال سبحانه: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة آية 44]. وقال تعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة آية 45]. وقال عز وجل: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [المائدة، آية 47].

ويكون الحكم بغير ما أنزل الله تعالى كفراً ناقلاً عن الملة، وناقضاً من نواقض الإيمان في عدة صور وحالات، نتحدث عن بعضها على النحو التالي:

أ) من شرع غير ما أنزل الله تعالى: فالتشريع حق خالص لله وحده لا شريك له. من نازعه في شيء منه فهو مشرك، لقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ} [الشورى، آية 21].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة) [106].

وإذا كانت متابعة أحكام المشرعين غير ما شرعه الله، تعتبر شركاً، وقد حكم الله على هؤلاء الأتباع بالشرك، كما قال سبحانه: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام، آية 121] [107] فكيف بحال هؤلاء المشرعين؟

---

106 تفسير ابن كثير.
107 نفس المرجع السابق.

وهؤلاء المشرعون ما لم يأذن به الله تعالى، إنما وضعوا تلك الأحكام الطاغوتية لاعتقادهم أنها أصلح وأنفع للخلق وهذه ردة عن الإسلام، بل إن اعتبار شيء من تلك الأحكام ولو في أقل القليل عدم رضا بحكم الله ورسوله، فهو كفر ناقل عن الملة [108].

إضافة إلى أن هذا التشريع يعد تجويزاً وتسويغاً للخروج على الشرع المنزل، ومن سوغ الخروج على هذه الشريعة فهو كافر بالإجماع [109].

وغالب الأنظمة التي تحكم بلاد المسلمين – من خلال استقراء دساتيرها – إنما هو انسلاخ من عقيدة إفراد الله تعالى وحده بالتشريع، حيث جعلت التشريع والسيادة للأمة أو الشعب، وربما جعلت الحاكم مشاركاً في سلطة التشريع، وقد يستقل بالتشريع في بعض الأحوال، وكل ذلك تمرد على حقيقة الإسلام التي توجب الانقياد والقبول لدين الله تعالى، والله المستعان.

يقول د. صلاح الصاوي عن تلك الأوضاع: (إن الحالة التي تواجهها مجتمعاتنا المعاصرة هي حالة الإنكار على الإسلام أن تكون له صلة بشؤون الدولة، والحجر عليه ابتداء أن تتدخل شرائعه لتنظيم هذه الجوانب، وتقرير الحق في التشريع المطلق في هذه الأمور للبرلمانات والمجالس التشريعية.

إننا أمام قوم يدينون بالحق في السيادة العليا والتشريع المطلق للمجالس التشريعية، فالحلال ما أحلته، والحرام ما حرمته، والواجب ما أوجبته، والنظام ما شرعته، فلا يجرم فعل إلا بقانون منها، ولا يعاقب عليه إلا بقانون منها، ولا اعتبار إلا للنصوص الصادرة منها...

هذه المحنة التي نواجهها اليوم، والتي لا يصلح لدفعها ترقيع جزئي بإلغاء بعض المواد، والنص على اخرى، وإنما يصلحه أن نبدأ بتقرير السيادة المطلقة والحاكمية العليا للشريعة الإسلامية، والنص على أن كل ما يتعارض معها من القوانين أو اللوائح فهو باطل) [110].

---

[108] انظر فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم.
[109] انظر فتاوى ابن تيمية.
[110] تحكيم الشريعة لصلاح الصاوي.

ب) أن يجحد أو ينكر الحاكم بغير ما أنزل الله تعالى أحقية حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم: في رواية لابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة، آية 44]، حيث قال: (من جحد ما أنزل الله فقد كفر) [111].

إن جحود حكم الله تعالى هو اعتراض على شرح الله تعالى، وتكذيب لنصوص الوحيين، وقد أجمع العلماء على تكفير من أنكر حكماً معلوماً من الدين بالضرورة، وحكى هذا الإجماع جمع كثير من أهل العلم كما جاء مفصلاً فيما مضى.

فمن ذلك ما قاله أبو يعلى: (ومن اعتقد تحليل ما حرم الله بالنص الصريح، أو من رسوله، أو أجمع المسلمون على تحريمه فهو كافر، كمن أباح شرب الخمر ومنع الصلاة والصيام والزكاة، وكذلك من اعتقد تحريم شيء حلله الله وأباحه بالنص الصريح، أو أباحه رسوله أو المسلمون مع العلم بذلك، فهو كافر كمن حرم النكاح والبيع والشراء على الوجه الذي أباحه الله عز وجل، والوجه فيه أن في ذلك تكذيباً لله تعالى ولرسوله في خبره، وتكذيباً للمسلمين في خبرهم، ومن فعل ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين) [112].

ويقول ابن تيمية: (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً بالإتفاق) [113].

ويقول الشنقيطي: (من لم يحكم بما أنزل الله معارضة للرسل، وإبطالاً لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره كلها مخرج عن الملة) [114].

ج) أن يفضل حكم الطاغوت على حكم الله تعالى: قد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذه الحالة ضمن نواقض الإسلام، فقال: (من اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هدية، أو أن حكم غيره أحسن من

---

111 أخرجه بن جرير في تفسيره.
112 المعتمد ي أصول الدين.
113 مجموع الفتاوى.
114 أضواء البيان.

حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر) [115].

لقد قام التتار – بعد إسقاطهم لدولة الخلافة العباسية – بإظهار هذا الكفر، وذلك بتقديم حكم الياسق وفرضه على المسلمين ونبذ حكم الله تعالى.

وقد أشار ابن كثير إلى هذا الواقع عند تفسيره لقوله تعالى،: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة، آية 50]، فقال: (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنيكز خان، الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير...) [116].

ويقول محمود الآلوسي في تفسيره: (لاشك في كفر من يستحسن القانون ويفضله على الشرع ويقول هو أوفق بالحكمة وأصلح للأمة، ويتميز غيظاً ويتقصف غضباً إذا قيل له في أمر: أمر الشرع فيه كذا، كما شاهدنا ذلك في بعض من خذلهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم... فلا ينبغي التوقف في تكفير من يستحسن ما هو بيّن المخالفة للشرع منها - أي القوانين - ويقدمه على الأحكام الشرعية منتقصاً لها) [117].

د) من ساوى بين حكم الله تعالى وحكم الطاغوت: هذا كفر ناقل عن الملة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى، آية 11] [118]، ولقوله عز وجل: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة آية

---

[115] مجموع مؤلفات الشيخ محمد عبد الوهاب.
[116] عمدة التفسير.
[117] روح المعاني.
[118] انظر مقالة تحكيم الشريعة للقطان.

22]، وإذا كان الأمر كذلك فلا أضل ولا أسوأ حالاً من هؤلاء الذين ساروا بين حكم الله تعالى الذي لا معقب لحكمه، وبين حكم البشر العاجزين القاصرين.

يقول ابن تيمية: (من طلب أن يطاع مع الله، فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والله سبحانه أمر أن لا يعبد إلا إياه، وأن لا يكون الدين إلا له) [119].

وأخبر تعالى عن أهل النار أنهم يقولون) وهم في النار) لآلهتهم: {تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء، آية 97، 98].

هـ) أن يجوز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله، أو يعتقد أن الحكم بما أنزل الله تعالى غير واجب، وأنه مخير فيه، فهذا كفر مناقض للإيمان، لتجويزه ما علم بالنصوص الصريحة القطعية تحريمه، حيث لم يعتقد وجوب إفراد الله تعالى بالحكم، وهو إن لم يكن جاحداً لحكم الله، لكن ما دام أنه لا يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى وحده، وذلك بتجويز الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، فهذا كفر ناقل عن الملة [120].

يقول القرطبي: (إن حكم بما عنده على أنه من عند الله تعالى، فهو تبديل له يوجب الكفر) [121].

ويوضح ابن تيمية هذه المسألة قائلاً: (ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر. فإن كثيراً من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله، فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن

---

[119] مجموع الفتاوى.
[120] انظر أضواء على الركن.
[121] تفسير القرطبي.

يحكموا بخلاف ما أنـزل اللـه فهـم كفـار، وإلا كـانوا جهـالاً) [122].

و) من لـم يحكـم بمـا أنـزل اللـه تعـالى إبـاء وامتناعـاً فهوكافر خارج عن الملة: وإن لم يجحد أو يكذب حكم اللـه تعالى، وإذا كانت الحالة السابقة تجويز وقبول الحكـم بغيـر مـا أنـزل اللـه تعـالى، فهـذه الحالـة لا تعـدو أن تكـون فـي المقابل من تلك الحالة.

فمن المعلوم – عند السلف الصالح – أن الإيمـان قـول وعمل، وتصديق وانقياد، فكما يجب على الخلق أن يصدقوا الرسل عليهم السـلام فيمـا أخـبروا، فعليهـم أن يطيعـوهم فيما أمروا، فلا يتحقق الإيمـان مـع تـرك الانقيـاد والطاعـة، قال تعالى: {وما أرسلنا من رسـول إلا ليطـاع بـإذن اللـه} [النساء، اية 64]، فالإيمـان ليـس مجـرد التصـديق – كمـا زعمت المرجئـة - وإنمـا هـو التصـديق المسـتلزم للطاعـة والانقياد [123].

كما أن الكفر عدم الإيمـان – باتفـاق المسـلمين [124]- ومن ثم ليس تكذيباً فحسب، بل قد يكون امتناعاً عن اتباع الرسول مع العلم بصـدقه... [125]، وقـد يكـون هـذا الكفـر إعراضاً أو شكاً، وعلى هذا يكون من ترك الحكم بمـا أنـزل الله إباءً وردا فهو كافر مرتد، وإن كـان مقـراً بهـذا الحكـم، لأن الإيمان يقتضي وجوب الانقياد والطاعة والإذعان لحكـم الله تعالى.

يقول الجصاص في تفسير قوله تعـالى: {فَلاَ وَرَبِّـكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَـجَرَ بَيْنَهُـمْ ثُـمَّ لاَ يَجِـدُواْ فِـي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} [النِسـاء، آيـة 65]: (وفي هذه الآية دلالة على أن من ردّ شيئاً من أوامـر الله تعالى، أو أوامـر رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم فهـو خارج من خارج من الإسلام، سواء رده من جهة الشك فيه، أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم...) [126].

ز) من ضمن الحالات التي يكون الحكم بغيـر مـا أنـزل الله تعالى كفراً، ما قاله الشـيخ محمـد بـن إبراهيـم: (وهـو

---

122 منهاج السنة النبوية.
123 كتاب الصلاة لابن القيم.
124 مجموع الفتاوى.
125 إنظر السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل.
126 أحكام القرءان للجصاص.

أعظمهـا وأشـملها وأظهرهـا معانـدة للشـرع ومكـابرة لأحكـامه، ومشـاقة للـه ورسـوله، ومضـاهاة بالمحـاكم الشرعية إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً وتفريعاً وتشكيلاً وتنويعاً وحكماً وإلزاماً ومراجع ومستندات.

فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات مرجعهـا كلها إلى كتاب الله وسنة رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم، فلهذه المحـاكم مراجـع هـي القـانون الملفـق مـن شـرائع شـتى، وقـوانين كـثيرة كالقـانون الفرنسـي، والقـانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القـوانين، ومـن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة، وغير ذلك.

فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسـلام مهيـأة مكملة، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسـراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكـم السـنة والكتـاب، مـن أحكام ذلك القانون، وتلزمهـم بـه، وتقرهـم عليـه، وتحتمـه عليهم، فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضـة لشـهادة أن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة؟!) [127].

ح) من خلال عرض الحالات السـابقة الموجبـة للـردة، يظهر حكم المشرع – كما في الحالة الأولى – والحاكم بغير مـا أنـزل اللـه – كمـا فـي بقيـة الحـالات – ويبقـى موضـوع المحكوم بتلك القوانين الطاغوتية، فإن كفره متعلق بقبوله لغير شريعة الله، ورضاه بها، إضافة إلـى ذلـك فـإن متابعـة هذا المحكوم وقبوله لغير الشريعة مـن خلال تحـاكمه إلـى غير ما أنزل الله تعالى، لا يخلو من امتناع عـن قبـول حكـم اللـه وحـده، أو تجـويز للحكـم بالطـاغوت، وقـد أمـروا أن يكفروا به، أو تفضيل لحكم الطاغوت على حكم الله تعالى، أو التسوية بينهما...

يقولُ اللهِ تعالى: {أَلَـمْ تَـرَ إِلَـى الَّـذِينَ يَزْعُمُـونَ أَنَّهُـمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّـيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنـزَلَ اللّـهُ وَإِلَـى الرَّسُـولِ رَأَيْـتَ الْمُنَـافِقِينَ يَصُـدُّونَ عَنـكَ صُـدُودًا} [النساء، آية 60، 61]،كما دلت الآية على أن إرادة التحاكم إلى الطاغوت إيمان بهذا الطاغوت، ومن ثم فهو كفر بـالله تعالى، حيث إن اللـه تعـالى قـد فـرض علـى عبـاده الكفـر بالطاغوت، والإيمان به تعالى، حيـث قـال سـبحانه: {فَمَـنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ

[127] رسالة التحكيم.

لاَ انفِصَامَ لَهَا} [البقرة، آية 256]،ويقول عز وجل: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة، آية 31].

3) متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أصغر؟

يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أصغر إذا حكم الحاكم أو القاضي بغير ما أنزل الله تعالى في واقعة ما مع اعتقاده وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى في هذه القضية المعينة فعدل عنه عصياناً وهوى وشهوة، مع اعترافه بأنه آثم في ذلك، مستحق للعقوبة.

ونسوق جملة من كلام أهل العلم في هذه المسألة:

يقول القرطبي: (إن حكم به - أي بغير ما أنزل الله - هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين) [128].

ويقول ابن تيمية: (أما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً، لكن عصى واتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة) [129].

يقول ابن القيم: (إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصياناً، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر) [130].

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم: (وأما القسم الثاني من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله، وهو الذي لا يخرج عن الملة... وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى. وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة فإن معصيته عظمى أكبر من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقة واليمين الغموس وغيرها، فإن معصيةً سماها الله في كتابه كفراً أعظم من معصية لم يسمها كفراً) [131].

---

128 تفسير القرطبي.
129 منهاج السنة.
130 مدارج السالكين.
131 فتاوي محمد بن إبراهيم.

ويقول الشنقيطي: (من لم يحكم بما أنزل الله معتقداً أنه مرتكب حراماً، فاعل قبيحاً، فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة) [132].

وفي ختام هذا العرض نشير إلى أن تحكيم الشريعة استجابة لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم فيه الحياة والصلاح والخير، كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال، آية 24].

يقول الشيخ السعدي: (قوله: {إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ} وصف ملازم، لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلوب والروح، والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته، وطاعة رسوله على الدوام) [133].

وإن رفض هذه الشريعة وعدم الاستجابة لها اتباع للهوى، فهو ضلال شنيع في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة، يقول تعالى: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ}.

ويحكي ابن القيم شيئاً من عواقب تنحية حكم الله تعالى فيقول: (لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم، وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى ربى فيها الصغير وهرم عليها الكبير...) [134].

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يا معشر المهاجرين: خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم – وذكر منها -: وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم) [135]، وفي رواية: (وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر) [136].

---

132 أضواء البيان.
133 تفسير السعدي.
134 الفوائد.
135 رواه ابن ماجه.
136 صحيح الترغيب للألباني.

وصدق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإن الناظر إلى واقع المسلمين – الآن – يرى ما وقع في تلك البلاد من المصائب والشرور، ومن الفرقة والعداوة فيما بينهم، وكذا التقاتل والتناحر، كما ظهر الفقر والتدهور الاقتصادي، مع أن في بلاد المسلمين – كما هو معلوم – أعظم الثروات وبمختلف الأنواع، وأعظم سبب في ذلك هو تنحية شرع الله، والتحاكم إلى الطاغوت والله المستعان.

3) الإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:

والمقصود بالإعراض – هاهنا – والذي يعد ناقضاً من نواقض الإيمان العملية، والإعراض التام عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، وهو التولي عن طاعة الرسول والامتناع عن الإتباع، والصدود عن قبول حكم الشريعة، فإذا كان جنس العمل الظاهر من أصل الإيمان، فإن تركه وعدم الالتزام به إعراض كلي عن هذا العمل، ومن ثم فهو كفر مخرج عن الملة.

يقول ابن تيمية: (وقد تبين أن الدين لابد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجباً ظاهراً، ولا صلاة ولا زكاة، ولا صياماً، ولا غير ذلك من الواجبات) [137].

وهناك إعراض لا يخرج من الملة، كأن يكون معه أصل الإيمان، لكنه يعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية، وبهذا ندرك الفرق بين الإعراض الكلي عن جنس العمل الظاهر - الطاعة أو الاتباع - وبين الإعراض الجزئي عن بعض العمل، فالأول ينقض الإيمان وينفيه بالكلية، والآخر ينقص الإيمان، لكن لا ينفيه بالكلية) [138].

فهذا الإعراض الكلي أو التام مخرج عن الملة، ومن تلبس بهذا الإعراض فهو كافر، وإن كان يحسب أنه يحسن صنعاً، لأن من كان متمكناً ثم فرَّط فأعرض عما جاء به الرسول فهو تارك للواجب.

ويذكر ابن القيم الفرق بين المعرض المفرط وبين العاجز قائلاً: (كل من اعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلابد أن يقول يوم القيامة: {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

---

[137] مجموع الفتاوى.
[138] انظر رسالة ضوابط التكفير للقرني.

بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ} [الزخرف، آية 38] فإن قيل فهل لهذا عذر في ضلاله إذا كان يحسب أنه على هدى، كما قال تعالى: {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} [الأعراف، آية 30] ،قيل لا عذر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الإعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو ظن أنه مهتد، فإنه مفرط بإعراضه عن اتباع داعي الهدى، فإذا ضل فإنما أتى من تفريطه وإعراضه،وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول إليها، فذاك له حكم آخر، والوعيد في القرآن إنما يتناول الأول، وأما الثاني فإن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه...) [139].

ويقول أيضاً: (إن العذاب يستحق بسببين: أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إراداتها والعمل بها وبموجبها...) [140].

والآن نوجز حكم الإعراض عن دين الله تعالى،بأنه ينافي الإيمان ويضاده، كما قال الله تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} [النور، آية 47].

والإعراض عن دين الله وشرعه هو حقيقة النفاق. يقول تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا} [النساء، آية 61].

يقول ابن القيم عن هذه الآية: (فجعل الإعراض عما جاء به الرسول والإلتفات إلى غيره هو حقيقة النفاق، كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيمه وارتفاع الحرج عن الصدور بحكمه، والتسليم لما حكم به رضىً واختياراً ومحبة، فهذا حقيقة الإيمان، وذلك الإعراض حقيقة النفاق) [141].

ويقول محمد رشيد رضا في تفسير هذه الآية: (والآية ناطقة بأن من صد وأعرض عن حكم الله ورسوله عمداً ولا سيما بعد دعوته إليه وتذكيره به، فإنه يكون منافقاً لا يعتد بما يزعمه من الإيمان، وما يدعيه من الإسلام) [142].

---

[139] مفتاح دار السعادة.
[140] طريق الهجرتين.
[141] مختصر الصواعق المرسلة.
[142] تفسير المنار.

إضافة إلى ذلك، فإن المؤمنين أهل طاعة وانقياد، وأصحاب استجابة وتسليم أما الإعراض عن دين الله تعالى فهو من صفات الكافرين، وخصال المنافقين، كما جاء ذلك مفصلاً في آيات كثيرة من القرآن.

وأما وجه كون هذا الإعراض من نواقض الإيمان فذلك لجملة من الاعتبارات نذكر منها ما يلي:

أ) أن الله تعالى نفى الإيمان عمن أعرض وتولى عن دين الله عز وجل، يقول تعالى {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ} [النور، آية 47، 48].

يقول ابن حزم عن هذه الآيات: (هذه الآيات محكمات لم تدع لأحد علقة يشغب بها، قد بين الله فيها صفة فعل أهل زماننا فإنهم يقولون: نحن المؤمنون بالله وبالرسول ونحن طائعون لهما، ثم يتولى طائفة منهم بعد هذا الإقرار فيخالفون ما وردهم عن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، أولئك بنص حكم الله تعالى ليسوا مؤمنين) [143].

ب) إذا كان الإيمان يتضمن طاعة وانقياداً، وتسليماً وقبولاً، وأستجابة وخضوعاً لدين الله تعالى، فإن الإعراض يضاد ذلك وينافيه، فهو تول وصدود، وترك وأمتناع، وهو إعراض عن الهدى، وعدم إرادته والعمل به وبموجبه، وقد تقرر – عند أهل السنة – أن الإيمان ليس تصديقاً قلبياً فحسب، بل لابد فيه من الخضوع والانقياد.

قال ابن تيمية: (محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين) [144].

ج) ذكر الله تعالى أن الإعراض والتولي عن طاعة الله كفر، فقال تعالى: {قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران، آية 32].

---

[143] الإحكام في فصول الأحكام.
[144] التحفة العراقية في أحكام القلوب.

يقول ابن كثير في تفسيره: {فإن تَوَلَّوْاْ}: (أي تخالفوا عن أمره، {فإن الله لا يحب الكافرين}، فدل على أن مخالفته في الطريق كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين) [145].

د) قرر القرآن الكريم أن الإعراض عن دين الله تعالى من صفات المنافقين، وأن التولي عن طاعته من النفاق، {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا} [النساء، اية 61].

ويقول ابن تيمية: (فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول، وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين، وليس بمؤمن، وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فالنفاق يثبت، ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره) [146].

4) مظاهرة المشركين على المسلمين:

ولما كانت موالاة الكفار تقع على شعب متفاوتة، وصور مختلفة، لذا فإن الحكم فيها ليس حكماً واحداً، فإن من هذه الشعب والصور ما يوجب الردة، ونقض الإيمان بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من المعاصي [1].

وهذا الموالاة التي تناقض الإيمان، قد تكون اعتقاداً فحسب، وقد تظهر في أقوال وأعمال. والذي يهمنا في هذا المبحث الموالاة العملية، حيث سنورد مسألة مظاهرة الكفار على المسلمين كمثال لتلك الموالاة، وقبل أن نفصل الحديث عن تلك المسألة، فإننا نوضح – باختصار – جملة من الأمثلة على تلك الموالاة العملية، نظراً لعظم خطرها، وسعة انتشارها، وكثرة الوقوع فيها، فنذكر منها ما يلي:

أ) من أقام ببلاد الكفر رغبة واختياراً لصحبتهم، فيرضى ما هم عليه من الدين، أو يمدحه، أو يرضيهم بعيب المسلمين، فهذا كافر عدو لله ورسوله، لقوله تعالى: {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن

---

[145] تفسير ابن كثير.
[146] الصارم المسلول.

يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ} [آل عمران، آية 28]) [2].

ب) من أطاع الكفار في التشريع والتحليل والتحريم، فأظهر الموافقة في ذلك، فهو كافر وخارج عن الملة، وسنورد بعض النصوص القرآنية في هذا الشأن. يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} [آل عمران، آية 100]. ويقول عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [آل عمران، آية 149]. ويقول سبحانه وتعالى: {وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام، آية 121]. وقال تبارك وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ} [محمد، آية 25, 26].

ويمكن أن نلحق بطاعة ومتابعة الكفار في التحليل والتحريم، وموافقتهم في التشريع، ما قد أفتى به بعض علماء هذا العصر في مسألة التجنس بجنسية أمة غير مسلمة [147].

وجاء في فتوى لجنة مصر برئاسة الشيخ علي محفوظ: (إن التجنس بجنسية أمة غير مسلمة هو تعاقد على نبذ أحكام الإسلام عن رضا واختيار، واستحلال لبعض ما حرم الله، وتحريم لبعض ما أحل الله، والتزام لقوانين أخرى يقول الإسلام ببطلانها، وينادي بفسادها، ولا شك أن شيئاً واحداً من ذلك لا يمكن تفسيره إلا بالردة، ولا ينطبق عليه حكم إلا حكم الردة، فما بالك بهذه الأربعة مجتمعة في ذلك التجنس الممقوت؟) [148].

ج) التشبه المطلق بهم: أو التشبه بهم فيما يوجب الكفر والخروج عن الملة. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالكفار فقال: (من تشبه بقوم فهو منهم) [149].

---

147 كتب الشيخ محمد النفير بحثا في هذه المسألة.
148 التجنس بجنسية غير إسلامية للشيخ محمد السبيل.
149 رواه أبو داود.

يقول ابن تيمية عن هذا الحديث: (وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة، آية 51]. فقد يحمل هذا على التشبيه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم، في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً، أو معصية أو شعاراً لهم، كان حكمه كذلك. وبكل حال يقتضي تحريم التشبه) [150].

وأما مظاهرة الكفار على المسلمين، فالمقصود بها أن يكون أولئك أنصاراً وظهوراً وأعواناً للكفار ضد المسلمين، فينضمون إليهم، ويذبون عنهم بالمال والسنان والبيان، فهذا كفر يناقض الإيمان [151].

ويقول ابن كثير عند تفسيره لقوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ..} [الممتحنة، آية 13]: (ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة، كما نهى عنها في أولها فقال تعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا...}، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء) [152].

ويقول البيضاوي عند تفسيره لقوله سبحانه: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة، آية 51]: (أي من والاهم منكم، فإنه في جملتهم، وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم) [153].

ونختم هذا المبحث بإيراد جملة من كلام أهل العلم في هذه المسألة:

يقول ابن تيمية: (فمن قفز منهم إلى التتار كان أحق بالقتال من كثير من التتار، فإن التتار فيهم المكره وغير المكره، وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة) [154].

---

150 اقتضاء الصراط المستقيم.
151 تفسير القرطبي.
152 تفسير ابن كثير.
153 تفسير الألوسي.
154 مجموع الفتاوى.

ويقول الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ: (التولي كفر يخرج من الملة، وهو كالذب عنهم وإعانتهم بالمال والبدن والرأي) [155].

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز: (وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم، كما قال سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة، آية 51] [156].

ب) نواقض الإيمان العملية في النبوات:

أولا: النواقض القولية:

أ) سب الصحابة رضي الله عنهم:

يقول الله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة، آية 100]

وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) [157].

اختلف العلماء فيمن سب الصحابة رضي الله عنهم، وهل يكفر بذلك؟ [158].

وذلك أن سب الصحابة ليس على مرتبة واحدة، بل له مراتب متفاوتة، فإن سب الصحابة أنواع ودركات، فمنها سب يطعن في عدالتهم، ومنها سب لا يوجب الطعن في عدالتهم، وقد يكون السب لجميعهم، وأكثرهم وقد يكون لبعضهم، وهناك سب لمن تواترت النصوص بفضله، ومنهم دون ذلك.

---

155 الدرر السنية.
156 فتاوى ابن باز.
157 رواه البخاري.
158 الشفا للقاضي عياض.

وسنورد جملة من أنواع سب الصحابة رضي الله عنهم مما يعد ناقضاً من نواقض الإيمان على النحو التالي:

أ) إن كان مستحلاً لسب الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر [159].

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (فإذا عرفت أن آيات القرآن تكاثرت في فضلهم والأحاديث المتواترة بمجموعها ناصة على كمالهم ... فمن اعتقد حقية سبهم وإباحته، أو سبهم مع اعتقاد حقية سبهم، أو حليته فقد كفر بالله تعالى ورسوله فيما أخبر من فضائلهم ...)، إلى أن قال: (فإن اعتقد حقية سبه أو إباحته فقد كفر، لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكذبه كافر) [160].

ب) ومما يناقض الإيمان: أن يسب جميع الصحابة، أو جمهورهم سباً يقدح في دينهم وعدالتهم، كأن يرميهم بالكفر، أو الفسق، أو الضلال:

يقول القاضي عياض: (وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة، كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم... لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن، إذ ناقلوه كفرة على زعمهم، وإلى هذا – والله أعلم – أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة) [161].

ج) من أنواع سب الصحابة الذي يناقض الإيمان: أن يسب صحابياً تواترت النصوص بفضله، فيطعن في دينه وعدالته، وذلك لما فيه من تكذيب لهذه النصوص المتواترة، والإنكار والمخالفة لحكم معلوم من الدين بالضرورة.

قال مالك رحمه الله: (من شتم أحداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال كانوا على ضلال وكفر قتل) [162].

---

159 الصارم المسلول.
160 [illegible].
161 [illegible].
162 [illegible].

وقال محمد بن يوسف الفريابي وسئل عمن شتم أبا بكر؟ فقال: (كافر)، قيل: فيصلي عليه؟ قال: (لا)، وسأله: كيف يصنع به وهو يقول لا إله إلا الله؟ قال: (لا تمسوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته) [163].

د) من قذف إحدى أمهات المؤمنين، فإن كنت عائشة رضي الله عنها فهو كافر بالإجماع ومن قذف غيرها من أمهات المؤمنين فهو أيضاً كافر على أصح الأقوال.

وبيان ذلك أن قذف عائشة رضي الله عنها تكذيب ومعاندة للقرآن، فإن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله تعالى. قال تعالى: {يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [النور، آية 17].

كما قال الإمام مالك: (من سب عائشة قتل)، قيل له: لم؟ قال: (من رماها فقد خالف القرآن) [164].

قال ابن حزم معلقاً على مقالة مالك: (قول مالك هاهنا صحيح، وهي ردة تامة، وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها) [165].

ب) الاستهزاء بالعلماء والصالحين:

قال سبحانه: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة، آية 11]، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ افر) [166]، وفي الأثر المعروف: (كن عالماً، أومتعلماً، أومستمعاً، أومحباً لهم، ولا تكن الخامسة فتهلك) [167].

---

163 [illegible]

164 [illegible].

165 [illegible].

166 [illegible] .

167 [illegible] .

ولا شك أن الاستهزاء بالعلماء أو الصالحين يضاد محبتهم وإجلالهم، فالاستهزاء بهم يعني السخرية بهم والاستخفاف بهم) [168].

قال الآلوسي: (الاستهزاء: الاستخفاف والسخرية، وذكر الغزالي أن الاستهزاء الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه،وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول،وبالإشارة والإيماء... وأصل هذه المادة الخفة، يقال: ناقة تهزأ به أي: تسرع وتخف) [169].

إن الاستهزاء بأهل العلم والصلاح صفة من صفات الكافرين، وخصلة من خصال المنافقين، كما قرر ذلك القرآن في آيات كثيرة.

يقول الله تعالى: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة، آية 212].

وأما وجه كون هذا الاستهزاء يناقض الإيمان، فلما يلي:

أ) أن الله عز وجل جعل الاستهزاء بالمؤمنين استهزاء بالله تعالى وآياته ورسوله صلى الله عليه وسلم [170]، فقال تبارك وتعالى: {قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة، آية 65، 66].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله في هذا الشأن: (وفيه بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها، أو بعمل يعمل به..ومن هذا الباب الاستهزاء بالعلم وأهله وعدم احترامهم لأجله) [171].

ب) ذكر الله عز وجل أن الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين سبب في دخول نار جهنم، وعدم الخروج منها. فعندما ينادي أهل النار قائلين: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} [المؤمنون، آية 107]. يقول الله تعالى جواباً عنهم: {قَالَ اخْسَؤُواْ فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ

---

168 [illegible].
169 [illegible].
170 [illegible].
171 [illegible].

فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ} [المؤمنون، آية 108-110].

ويقول الآلوسي: (قيل: التعليل على معنى إنما خسأناكم كالكلب ولم نحتفلكم إذ دعوتكم؛ لأنكم استهزأتم غاية الاستهزاء بأوليائي حين دعوا واستمر ذلك منكم حتى نسيتم ذكري بالكلية ولم تخافوا عقابي فهذا جزاؤكم.

وقيل: خلاصة معنى الآية إنه كان فريق من عبادي يدعون، فتشاغلتم بهم ساخرين، واستمر تشاغلكم باستهزائهم إلى أن جركم إلى ترك ذكري في أوليائي فلم تخافوني في الاستهزاء بهم).

ج) أن الاستهزاء بالعلماء والصالحين لأجل ما هم عليه من العلم الشرعي، واتباعهم للقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، هو في حقيقته استهزاء بآيات الله تعالى، وسخرية بشرائع دين الله عز وجل، ولا شك أن هذا الاستهزاء كفر يناقض الإيمان، يقول الله تعالى: {وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [الجاثية، آية 9]، ولم يجيء إعداد العذاب المهين إلا في حق الكفار) [172].

يقول ابن حزم: (صح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالى، أو بملك من الملائكة، أو بنبي من الأنبياء عليهم السلام، أو بآية من القرآن، أو بفريضة من فرائض الدين، فهي كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر) [173].

ثانيا: النواقض العملية:

أ) ترك الصلاة:

وإذا انتقلنا إلى مسألة ترك الصلاة، فينبغي أن يعلم أن هذا الترك له ضروب متعددة، فمنه ما هو كفر، ومنه ما ليس بكفر، ومنه ما هو مختلف فيه فمن ترك الصلاة نسياناً فلا يكفر بإجماع الأمة [174]، وأما الترك الذي يعد كفراً، فمنه ما يلي:

---

172 [illegible].
173 [illegible].
174 [illegible].

أ) من ترك الصلاة جاحداً لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين، وكذا إن جحد وجوبها ولم يترك فعلها [175].

ب) من ترك الصلاة استكباراً أو حسداً... فهذا كافر بالاتفاق.

وقد بين ابن تيمية هذه الحالة بياناً كافياً فقال: (أن لا يجحد وجوبها، لكنه ممتنع من التزام فعلها كبراً، أو حسداً، أو بغضاً لله ولرسوله، فيقول أعلم أن الله أوجبها على المسلمين، والرسول صادق في تبليغ القرآن، لكنه ممتنع عن التزام الفعل استكباراً، أو حسداً للرسول، أو عصبية لدينه، أو بغضاً لما جاء به الرسول، فهذا كافر بالاتفاق، فإن إبليس لما ترك السجود المأمور به لم يكن جاحداً للإيمان، فإن الله تعالى باشره بالخطاب، وإنما أبى واستكبر وكان من الكافرين، وكذلك أبو طالب كان مصدقاً للرسول فيما بلغه، لكنه ترك اتباعه حمية لدينه، وخوفاً من عار الانقياد، واستكباراً عن أن تعلو أسته رأسه، فهذا ينبغي أن يتفطن له. ومن أطلق من الفقهاء أنه لا يكفر إلا من يجحد وجوبها فيكون الجحد عنده متناولاً للتكذيب بالإيجاب، ومتناولاً للإمتناع عن الإقرار والالتزام، كما قال تعالى: {فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام، آية 163]، وقال تعالى: {وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل، آية 14]. وإلا فمتى لم يقر ويلتزم فعلها قتل وكفربالاتفاق) [176].

ج) من ترك الصلاة استخفافاً واستهانة بها فهو كافر.

وقال الإمام أحمد في رسالة الصلاة: (فكل مستخف بالصلاة مستهين بها هو مستخف بالإسلام مستهين به، وإنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة).

د) من ترك الصلاة وأصر على تركها حتى يقتل فهو كافر اتفاقاً، فإن من امتنع من الصلاة حتى يقتل، لم يكن في الباطل مقراً بوجوبها، ولا ملتزماً بفعلها.

يقول ابن القيم عدم تكفير من تلبس بهذه الحالة، فيقول: (ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها، ودعي إلى فعلها على رؤوس الملأ وهو يرى بارقة

---

175 [illegible].
176 الصارم المسلول.

السيف على رأسه، ويشد للقتل، وعصبت عيناه، وقيل لـه: تصلي، وإلا قتلناك، فيقول: اقتلوني، ولا أصلي أبداً، ومـن لا يكفر تارك الصلاة، يقول: هذا مؤمن مسلم يغسل، ويصـلي عليه، ويـدفن فـي مقـابر المسـلمين، وبعضـهم يقـول: إنـه مؤمن كامل الإيمان، إيمانه كإيمـان جبريـل وميكائيـل، أفلا يستحي من هذا قوله مـن إنكـاره تكفيـر مـن شـهد بكفـره الكتاب والسنة واتفاق الصحابة) [177].

هـ) من ترك الصلاة معرضاً عنها، لا مقراً بوجوبهـا، ولا منكراً فهو كافر.

(أن يتركهـا - أي الصـلاة - ولا يقـر بوجوبهـا، ولا يجحـد وجوبها، لكنه مقر بالإسلام من حيث الجملة، فهل هـذا مـن موارد النزاع، أو من موارد الإجمـاع؟ ولعـل كلام كـثير مـن السلف متناول لهذا، وهو المعرض عنها لا مقـراً ولا منكـراً، وإنما هو متكلم بالإسلام فهـذا فيـه نظـر، فـإن قلنـا: يكفـر بالاتفاق، فيكون اعتقاد وجوب هذه الواجبات علـى التعييـن من الإيمان لا يكفي فيها الاعتقاد العام، كما فـي الخبريـات من أحوال الجنة والنار، والفرق بينهما أن الأفعـال المـأمور بها، المطلوب فيها الفعل لا يكفي فيها الاعتقـاد العـام، بـل لابد من اعتقاد خاص بخلاف الأمـور الخبريـة، فـإن الإيمـان المجمل بما جاء به الرسول من صفات الرب وأمـر المعـاد يكفي فيه مالم ينقض الجملة بالتفصـيل... بخلاف الشـرائع المأمور بها فإنه لا يكتفي فيها بالجمل، بل لابد من تفصـيلها علماً وعملاً) [178].

وأمـا مسـألة تـرك الصـلاة تهاونـا وكسـلا فقـد اختلـف العلماء في تكفير صاحبها، فمنهم من قال أنه كافر، ومنهم: الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين وكـثير مـن أئمـة العلـم وأهله، يقول محمد بن نصر المروزي عن هذا القول: (وهذا مذهب جمهور أصحاب الحديث) [179]،

ويقول ابن حزم: (فروينا عن عمر بن الخطـاب رضـي الله عنه ومعاذ بن جبل وابن مسعود وجماعة مـن الصـحابة رضـي اللـه عنهـم وعـن ابـن المبـارك، وأحمـد بـن حنبـل، وإسحاق بن راهوية رحمـة اللـه عليهـم، وعـن تمـام سـبعة عشر رجلاً من الصحابة، والتابعين رضي الله عنهم، أن من ترك صلاة فرض عامداً ذاكراً حتى يخرج وقتها، فـإنه كـافر

---

177 كتاب الصلاة.
178 مجموع الفتاوى.
179 تعظيم قدر الصلاة.

ومرتد، وبهذا يقول عبد الله بن الماحشون صاحب مالك، وبه يقول عبد الملك بن حبيب الأندلسي وغيره) [180].

وعند كثير أيضا من العلماء المعاصرين، ومنهم الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ومنهم من قال أنه ليس بكافر، ولكل أدلته.

ب) السحر وما يلحق به:

السحر في لغة العرب هو كل ما لطف مأخذه ودق، وأصل السحر: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، وسحره بمعنى خدعه، وسحره بكلامه:استماله برقته، وحسن تركيبه [181].

وأما تعريفه اصطلاحاً فإن السحر ليس نوعاً واحداً يمكن حده بحد يميزه عن غيره وقد أشار الشافعي رحمه الله إلى ذلك بقوله: (والسحر اسم جامع لمعان مختلفة) [182].

فعرف أبو بكر الجصاص السحر بقوله: (كل أمر خفي سببه، وتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع) [183].

قال تعالى: {وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه، آية 69].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) [184].

---

180 التمهيد لابن عبد البر.
181 المصباح المنير.
182 الأم.
183 أحكام القرءان للجصاص.
184 متفق عليه.

قال ابن قدامة: (إن تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم، قال أصحابنا: ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته، وروي عن الإمام أحمد ما يدل على أنه لا يكفر) [185].

ويعد السحر كفرا لعدة أسباب، منها:

أ) قوله تعالى: {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَىَ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} [البقرة، آية 102، 103].

يقول الشيخ حافظ الحكمي في ذلك: (وهذا الوعيد لم يطلق إلا فيما هو كفر لا بقاء للإيمان معه، فإنه ما من مؤمن إلا ويدخل الجنة، وكفى بدخول الجنة خلاقاً، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة) [186].

يقول ابن كثير: (وقد استدل بقوله {وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا...} من ذهب إلى تكفير الساحر) [187].

ب) قوله تعالى: {وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه، آية 69].

ومما قاله الشنقيطي رحمه الله في هذه الآية: (إن الفعل في سياق النفي من صيغ العموم... فقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ... الآية}؛ يعم نفي جميع أنواع الفلاح عن الساحر، وأكد ذلك بالتعميم في الأمكنة بقوله {حَيْثُ أَتَى} وذلك دليل على كفره؛ لأن الفلاح لا ينفى بالكلية نفياً عاماً إلا عمن لا خير فيه وهو الكافر).

ج) أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن السحر بالشرك، وفي بعض الأحاديث سماه شركاً، وحكم صلى

---

185 المغني.
186 معارج القبول.
187 تفسير ابن كثير.

الله عليه وسلم بالكفر على من أتى ساحراً فصدقه، كما تبرأ صلى الله عليه وسلم من الساحر والمسحور.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه) [188].

د) أن الصحابة رضي الله عنهم أمروا بقتل أولئك السحرة، وقد تقرر شرعاً أن دماء المسلمين محظورة إلا ما استثناه الشرع لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة).

هـ) أن السحر الذي يعد كفراً يتضمن أنواعاً كثيرة من المكفرات الاعتقادية والقولية والعملية، كأن يعتقد نفع الشياطين وضررهم بغير إذن الله تعالى، أو يعتقد أن الكواكب مدبرةً لأمر العالم، أو ينطق بكلمة الكفر كسب الله تعالى، أو الاستهزاء برسوله صلى الله عليه وسلم.

ومما يلحق بالسحر: التنجيم، وهو أحد أقسام الكهانة، ولذا يسمي بعضهم المنجم كاهناً [189]، والكاهن؛ هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن. [190]...

هذا والله أعلم.

---

188 أخرجه النسائي.
189 شرح السنة للبغوي.
190 انظر النهاية لابن الأثير.

الخاتمة

أما بعد:

ففي نهاية هذا البحث نشير إلى أهمية دراسة العقيدة، ونحث على فهمها...

فيا شباب! الله... الله! في العقيـدة، واتقـوا اللـه فـي عقيدتكم، ولا يفتننكم شنآن قوم لا يأمنون.

نسأل الله أن يجعلنا من الموحدين، وعلى عقيدتنا مـن المحافظين.

ولكي نجعل ختامه مسك نختمه بأننا نشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمد عبده ورسوله.

سـبحانك اللهـم وبحمـدك أشـهد أن لا إلـه إلا أنـت أستغفرك وأتوب إليك.

تم تنـزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد

w.dehwat.www//:ptth
dqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth